

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مركز سينماتوغرافيا الدعوة

الدورات التدريبية

تفسير القرآن الكريم



إعداد الأستاذ

أحمد الكردي

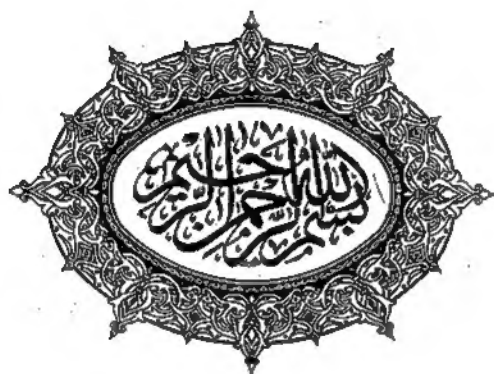
المحتوى

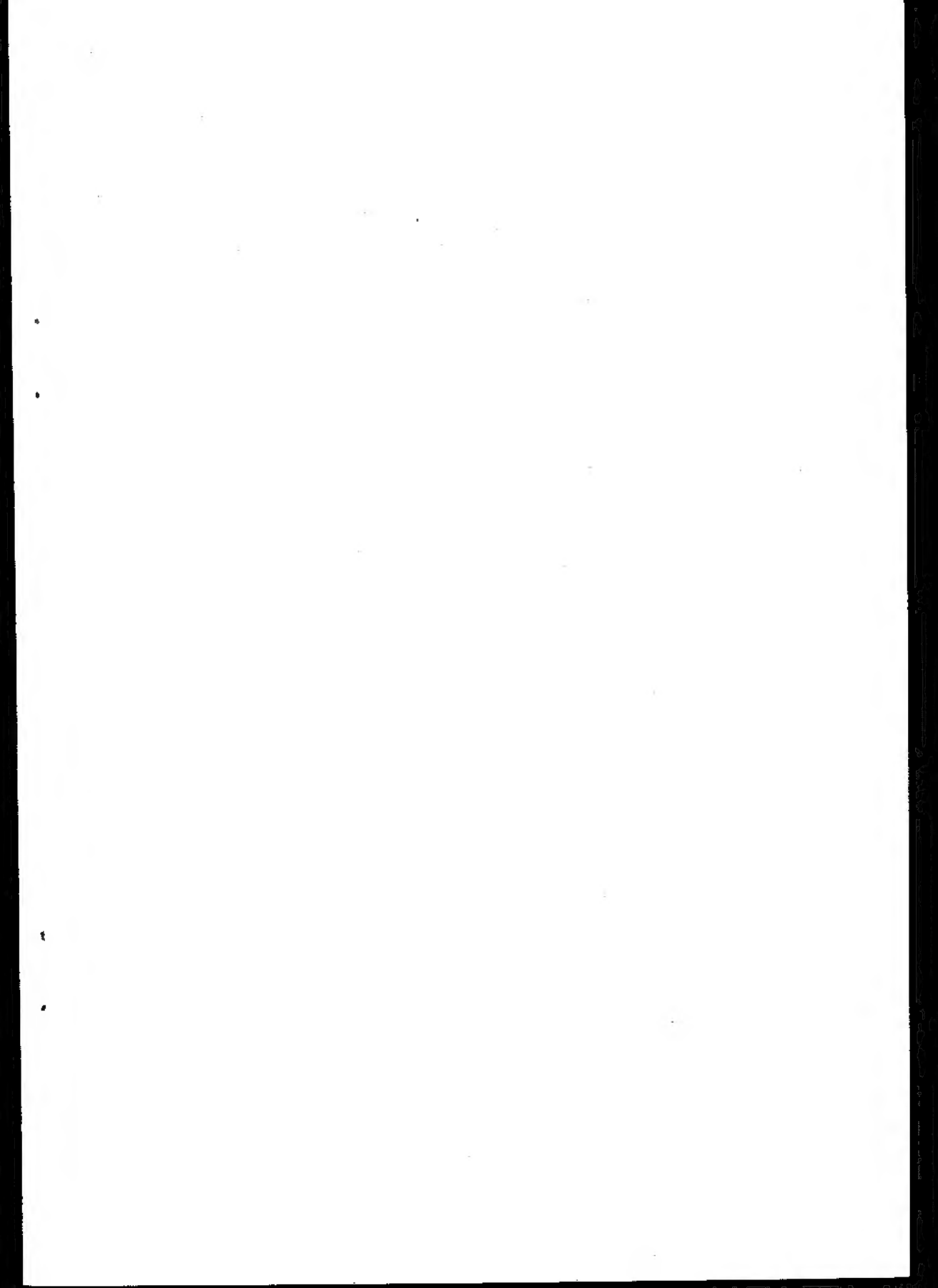
٤	سورة الفاتحة
١١	سورة الإخلاص
١٩	سورة الزلزلة
٢٧	سورة العصر
٣٣	سورة الماعون
٣٨	سورة الحجرات
٤٧	سورة القدر
٥٢	سورة العلق
	سورة النساء
٦٠	آيات الجهاد

الفهرست

الموضوع	الصفحة
..... <u>مقدمة</u>	٣
..... <u>الدعوة إلى عبادة الله وحده</u>	٥
..... <u>إن الدين عند الله الإسلام</u>	١٣
..... <u>وحدة المسلمين ودعوتهم إلى الخير</u>	٢١
..... <u>المسيح عبد الله ورسوله</u>	٣٥
..... <u>الكفر والإيمان</u>	٤٥
..... <u>الدين الخالص</u>	٥٢
..... <u>الوصايا العشر الإسلامية</u>	٦١
..... <u>توجيهات ربانية</u>	٨٠







الحمد لله نستعينه ونستهديه . ونصلي ونسلم على نبينا
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا
بدعوته .

«وبعد»

فهذه مذكرة ميسرة قصدت أن أقدمها للأخوة الدارسين
للقرآن الكريم ممن لم تتح لهم دراسة متخصصة في العلوم العربية
والإسلامية . ولئن يعملون في حقل المدارس العربية الإسلامية في
البلاد الناطقة بغير العربية .

وقد حاولت أن أجعل وضوح المعنى للعبارة القرآنية هدفاً
أساسياً كما قصدت أن يكون النص القرآني الكريم مجالاً لتوضيح
المبادئ الإسلامية التي يشير إليها النص وذلك بضم الآيات
القرآنية المناسبة له دون مبالغة ولا اسراف . كما قصدت أن أبتعد
عن الاصطلاحات الفنية التي يصعب فهمها على غير
المتخصصين . وحاولت أن أتبع كل نص بتدريبات ميسرة . قد
تساعد على استيعاب المعنى وتوضيحه . وفقنا الله للخير وهدانا
إليه ، ،

أحمد الكردي

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

سورة الفاتحة

سورة الفاتحة هي أول سورة في القرآن الكريم، ونزلت في مكة، وآياتها سبع، وهي أعظم سور القرآن الكريم، يقول رسول الله ﷺ:

«والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها: إنها السبع المثانى (١)». ويقول رسول الله ﷺ:

«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (٢) . . . بل هي السورة التى توضح للمسلم طريق دينه من عقيدة وشرعية وسلوك:

«بسم الله الرحمن الرحيم»:

أى باسم الله نبتدىء عملنا، وباسم الله نستعين، وهى كلمة كلها خير وبركة، لذلك يستحب للمسلم أن يقولها فى أول كل عمل وقول . . . فقد جاء: -

«كل أمر لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أجزم» (٣) . . . أى لا خير فيه ولا بركة.

الله : علم على الرب تبارك وتعالى لا يسمى به غيره .

(١) رواه الامام أحمد .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أبوداود وابن ماجه .

الرحمن الرحيم : صفتان لله تدلان على واسع رحمته وعظيم فضله، يقول الله تعالى : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ (١).

الحمد لله : الله وحده المستحق للشكر والثناء، لأنه المنعم علينا والخالق لنا والرحيم بنا.

رب العالمين : الرب : المالك المتصرف، والعالمين : المخلوقات فالله وحده أوجد المخلوقات وهو وحده يرعاها. ويربها، ويتصرف بحكمته وقدرته فيها.

الرحمن الرحيم : مالك يوم الدين :

يوم الدين : يوم الحساب والجزاء، وهو يوم القيامة، وهذا اليوم لا سلطان فيه لأحد إلا الله :

﴿لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار﴾ (٢).

﴿الملك يومئذ الحق للرحمن، وكان يومئذ على الكافرين عسيرا﴾ (٣).

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، والأمر يومئذ لله﴾ (٤).

وهكذا قدمت السورة في مطلعها عقيدة المسلم :

١ - فإله المسلم واحد : باسم الله .

٢ - يتصف بصفات الكمال : الرحمن الرحيم .

٣ - ويستحق الحمد والثناء : الحمد لله .

(١) سورة الأعراف - ١٥٦ .

(٢) سورة غافر / ١٦ .

(٣) سورة الفرقان / ٢٦ .

(٤) سورة الانقطار / ١٩ .

٤ - وهو المتصرف في كونه بإرادته وقدرته : رب العالمين الرحمن الرحيم .

٥ - يرجع إليه الخلق يوم القيامة فيحاسبهم ويجازيهم ﴿مالك يوم الدين﴾ . . ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ : أى لا نعبد إلا إياك ولا نطلب العون إلا منك .

وهذا كمال الطاعة وكمال الدين ، فالدين كله يرجع إلى هذه الآية الكريمة ، إذ فيها كمال التوحيد ، وكمال التوكل : قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن .

وسر الفاتحة : إياك نعبد وإياك نستعين ، فالأولى تبرؤ من الشرك ، والثانية تبرؤ من الحول والقوة .

وكما كانت الآيات تلخص عقيدة التوحيد فإن هذه الآية تلخص شريعة المسلم :

١ - فالمسلم يعبد الله بما أمره الله به .

٢ - والمسلم لا يطلب العون من غير الله لأن الله حرم عليه ذلك .

٣ - والعبادة الحق لا تكون إلا لله .

والعبادة هى الخضوع والطاعة مع الرضا والحب للمعبود .
﴿اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم .
غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

اهدنا : أرشدنا ووفقنا وألهمنا .

الصراط المستقيم : الطريق الذى لا عوج فيه ، وهو الإسلام .

الذين أنعمت عليهم : الذين هديتهم إلى الحق ، وهذا طريق المسلم دائماً ، إنه يدعو الله أن يهديه إلى

الحق وإلى الخير، وإلى أن يسلك طريق
الصالحين الطائعين، وأن يبتعد عن طريق
الكافرين والضالين.

والسورة تعلمنا أن نتجه إلى ربنا داعين له بعد أن نعرفه
معرفة سليمة، وبعد الثناء عليه، وبعد الالتزام بما شرع فقد ورد:
أن الدعاء هو العبادة^(١) «والله يأمرنا أن ندعوه»: ﴿ادعوني
استجب لكم﴾^(٢).

وطريقنا الذي ارتضاه لنا ربنا طريق وسط، فلا هو طريق
الذين بدلوا الحق فغضب الله عليهم، ولا هو طريق الذين ضلوا في
معرفة الحق فابتعدوا عن الصراط المستقيم، إنه طريق الإسلام،
الطريق الوسط.

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس﴾^(٣).

إنه طريق المؤمنين الطائعين. وليس طريق اليهود المغضوب
عليهم، ولا طريق النصاري الضالين.
يقول رسول الله ﷺ: «المغضوب عليهم اليهود، وإن
الضالين النصاري»^(٤).

وهكذا نجد السورة في الحلقة الثالثة توضح سلوك المسلم:
١ - إنه سلوك الهدى والرشاد.
٢ - إنه الطريق الوسط، الطريق المستقيم.

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن.

(٢) سورة غافر / ٦٠.

(٣) سورة البقرة / ١٤٣.

(٤) رواه أحمد في سننه.

- ٣ - إنه طريق الإسلام ، طريق الكتاب والسنة .
٤ - إنه طريق الطائعين المتقين ، وليس طريق المغضوب عليهم ولا طريق الضالين .

المناقشة

- ١ - سورة الفاتحة لها فضل عظيم ، ماذا تعرف من فضلها ؟
٢ - الفاتحة
أول ما نزل من القرآن . آخر ما نزل . نزلت في مكة .
اختر الإجابة الصحيحة .
٣ - الفاتحة
نقروها : على الأكل عند الصوم في كل صلاة .
٤ - اشتملت الفاتحة على قواعد الإسلام في
١ - ٢ - ٣ -
التجارة ، العقيدة ، الزراعة ، الشريعة ، السلوك .
اختر ثلاث كلمات مناسبة وضعها مكان النقط .
٥ - عقيدة المسلم تشتمل على :

(١)

(٢)

(٣)

أجب مما فهمته من السورة .

- ٦ - شرط العبادة أن تكون (أ)

(ب)

أجب مما فهمته من السورة.

٧ - طريق المسلم في حياته هو:-

(أ)

(ب)

(ج)

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ②
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ③

سورة الاخلاص

عقيدة المسلم فى التوحيد

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ ..

الصمد : السيد المقصود فى الحاجات ، الذى لا يقضى أمر إلا بإذنه .

كفوا : مماثلا ومشابها .

هذه السورة الكريمة مكية ، نزلت لتوضيح عقيدة التوحيد التى ارتفع بها الإسلام فوق كل الأديان ، فقد سئل رسول الله عن ربه ما هو : فنزل قوله تعالى : ﴿قل هو الله أحد﴾ .

قل : أمر من الله لرسوله ولكل مسلم أن يعلن هذه الحقيقة التى ضل عنها الناس وهى حقيقة التوحيد الخالص التى اشتملت على أربعة مبادئ تجمع صفاء التوحيد وجماله ، وترد على أكاذيب الأديان الباطلة .

هو الله أحد : فليس الإله كما تزعم المجوسية إلهين ، فالله واحد : ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فيأبى فارهبون﴾ (١) .

ولا هو ثلاثة كما قالت النصارى :

(١) سورة النحل / ٥١

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد﴾ (١).

ولا هو أكثر من ذلك :
﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يشعرون ، لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا﴾ (٢).

الله الصمد : الله هو السيد الذى يتصرف فى خلقه ويدبر أمر عباده ، ويتجه إليه العباد فى حاجاتهم ، يدعونه فيستجيب دعاءهم ، وهو الذى يقضى فى كل أمر بإذنه ، ولا يقضى أمر إلا بإذنه ، وعباده ، محتاجون له ، وهو غنى عنهم :

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد﴾ (٣) فالله هو الواحد الأحد ، وهو الفرد الصمد .

لم يلد : الله له الكمال المطلق ، غنى عن غيره ، فلا يحتاج إلى ابن يتكاثر به أو يتقوى به أو يستعين به سبحانه ، اتصف بالكمال منذ الأزل ، فلا يعتريه النقص فجأة فيحتاج إلى الولد .

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (٤).

(١) سورة المائدة / ٧٢ .

(٢) سورة الأنبياء / ٢١ - ٢٢ .

(٣) سورة فاطر / ١٥ .

(٤) سورة التوبة / ٣٠ .

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم، بل أنتم بشر ممن خلق﴾ (١).

﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحانه الله عما يصفون﴾ (٢).

﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله، وإنهم لكاذبون﴾ (٣).

ولم يولد : فسبحانه واحد فرد منذ الأزل لم يسبق بأبوة أو أمومة، فهو الغنى لا يحتاج إلى حنان أم، ولا إلى معونة أب، وهو قديم لا أول لوجوده.
(كان الله ولا شيء معه) (٤).

فلم تكون له أم، ولم يكون له أب، وهو خالق الأم والأب.
﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا، والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء﴾ (٥).

ولم يكن له كفوا أحد: لم يوجد، ولن يوجد له مماثل أو نظير أو مساو في حقيقة ذاته، ولا في حقيقة صفاته، ولا في حقيقة أفعاله، فالله متفرد ذاتا ومتفرد صفات ومتفرد أفعالا.

(١) سورة المائدة / ١٨ .

(٢) سورة المؤمنون / ٩١ .

(٣) سورة الصافات / ١٥٢ .

(٤) رواه البخاري .

(٥) سورة المائدة / ١٧ .

﴿ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير﴾^(١).
 ﴿فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾^(٢).
 ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق، أفلا تذكرون﴾^(٣).
 ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم﴾^(٤).
 ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾^(٥).

هذه السورة الصغيرة في حجمها العظيمة في معانيها قال عنها رسول الله إنها تعدل ثلث القرآن، فهي توضح أعظم ما جاء به الإسلام وهو عقيدة التوحيد التي امتاز بها عن سائر الأديان حتى يمكن أن نسميه دين التوحيد الخالص، فهي تقدم لنا حقيقة التوحيد في هذه المبادئ الأربعة :-

١ - وحدانية الله :

أ - فالله واحد في ذاته فليس له ند ولا نظير .
 ب - والله واحد في صفاته، فكل صفاته صفات كمال لا يشاركه غيره فيها، وكل ما خطر ببالك غير ذلك «إن علمه شامل لما كان وما يكون وما هو كائن، إن قدرته نافذة، ولا يعجزه شيء في السموات والأرض . . . ألا له الخلق والأمر . . . الخ» .

(٤) سورة الروم / ٢٧ .

(٥) سورة الحديد / ٣ .

(١) سورة الشورى / ١١٧ .

(٢) سورة النحل / ٧٤ .

(٣) سورة النحل / ١٧ .

ج - واحد في أفعاله : ففعل الله يناسب قدراته ويناسب علمه ويناسب إرادته ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، يدبر الأمر، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ (١).

والله هورب هذا الكون وسيده، خلقه من عدم، وسيره بحكمته، ورعاه بعنايته، وتولاه بنعمه وفضله. ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (٢).

وهو الذي يلجأ إليه عباده داعين ضارعين يحيب دعوة الداعي إذا دعاه :

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (٣).

﴿أمن يحيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله، قليلا ما تذكرون﴾ (٤).

الله لم يلد : فكل . سواء ومن سواء مخلوق له، خاضع له، صنعة يده، والله كامل منذ الأزل لا يحتاج إلى الولد، وكل الخلائق محتاجة إليه .

والله لم يولد : هو الأول فليس شيء قبله، ليس قبله أب وليس قبله أم ولا يعتريه الضعف والنقص فيحتاج إلى

(١) سورة الرعد / ٢ .

(٢) سورة لقمان / ٢٠ .

(٣) سورة البقرة / ٨٦ .

(٤) سورة النحل / ٦٢ .

معونة أب أو أم ، ولا يعتريه التغير فيتحول من إله
إلى ابن إله ، هو كامل منذ الأزل .
والله لا مثيل له : فكل من في الكون عباد : الملائكة عباد ، والرسل
عباد ، والبشر عباد ، فكيف يماثلون سيدهم ؟ .
﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة
المقربون﴾^(١) .

المناقشة

- ١ - لماذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ؟ .
- ٢ - تشتمل سورة الإخلاص على مبادئ أربعة في العقيدة
هي :-

—	—
—	—
- ٣ - ماذا تعنى وحدانية الله ؟ .
- ٤ - ترد سورة الإخلاص على العقائد الباطلة في الوحدانية-
من هذه العقائد :

و	و	و
---	---	---

(١) سورة النساء / ٧٢ .

٥ - قالت النصارى المسيح ابن الله ، فما ردك عليهم ؟ .

٦ - قالت المجوسية فى الكون إلهان ، فما ردك عليهم ؟ .

٧ - ليس كمثله شىء فى ذاته . .

وفى

وفى

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧

﴿سورة الزلزلة﴾

عقيدة البعث

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال لما نزلت :
﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ . . . «كان المسلمون يرون أنهم لا
يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم
لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه
ذلك، ويقولون إنها وعد الله النار على الكبار، فأنزل الله تعالى :
﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره﴾ .

اللفظة :

زلزلت الأرض : تحركت الأرض واهتزت بشدة.
زلزأها : حركتها واهتزأها.
أثقالها : ما في بطنها من كنوز ومعادن وأموات.
تحدث : تخبر.
أوحى لها : أمرها.
يصدر الناس : ينصرفون من موقف الحساب.
أشتاتا : متفرقين.
ليروا أعمالهم : ليروا جزاء أعمالهم من خير أو شر.
مثقال ذرة : وزن ذرة صغيرة.
ذرة : أصغر شيء من المادة.
يره : يجد جزاءه.

هذه السورة تتحدث عن عناصر عقيدة المسلم وهو البعث والجزاء يوم القيامة، وهذا اليوم هو نهاية الحياة الفانية، وبداية الحياة الباقية، وهو يوم يمثل عدالة الله في خلقه، حيث يأخذ كل مخلوق جزاء عمله، فلا يضيع حق، ولا يرتفع باطل، ولا يذهب الظالم بظلمه، ولا يشقى المظلوم بما نزل به، إنه اليوم الذى يمثل استقامة موازين الله في خلقه، وبغيره يصبح الكون عبثا بلا حكمة . .

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، وأنكم إلينا لا ترجعون، تعالى الله الملك الحق﴾ (١).

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (٢).

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار﴾ (٣).

هذا هو يوم الجزاء ويوم الحساب ويوم العدالة:
﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين﴾ (٤).
وفي هذا اليوم يتبدل كل شيء:

﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ (٥).

(١) سورة المؤمنون / ١١٥ .

(٢) سورة القيامة / ٣٦ .

(٣) سورة ص / ٢٨ .

(٤) سورة الانبياء / ٤٧ .

(٥) سورة ابراهيم / ٤٨ .

فتتحرك الأرض وتزلزل، وتسير الجبال وتصبح ذرات هائمة في الكون.

﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾^(١).

﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾^(٢).

وهنا يخرج كل ما في الأرض فيصبح ظاهرا على وجهها، فتصبح معادنها بادية ظاهرة، ويخرج الموتى ظاهرين فوقها.

﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا، ذلك حشر علينا يسير﴾^(٣).

ويخرج الخلائق من قبورهم حيارى، فيتساءلون: ما لها؟ ما للأرض ألفت ما فيها وتخلت:

يومئذ تحدث أخبارها: أى تتحدث عن أخبار الناس الذين عاشوا فوقها، وتشهد بما صنعوا، روى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ:

يومئذ تحدث أخبارها: أتدرون ما أخبارها، قالوا الله ورسوله أعلم، قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها.

بأن ربك أوحى لها: أى أن ربها أمرها أن تنشق لتخرج ما في باطنها وأن تكشف ما اختفى فيها، فلن يستطيع أحد أن يهرب من ربه:

﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾^(٤).

(١) سورة طه / ١٠٥.

(٢) سورة القارة / ٤.

(٣) سورة ق / ٤٤.

(٤) سورة الحاقة / ١٨.

يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم : أى فى هذا اليوم العظيم يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافا مختلفة ، هذا شقى ، وهذا سعيد ، هذا له الدرجات العالية فى الجنة ، وهذا له الدرك الأسفل من النار ، فيرجعون ليشاهدوا جزاء أعمالهم فى الجنة أو فى النار ، ذلك لأن موازين الله عادلة .

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره : فالناس يحزيون عن أعمالهم كلها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، والله لا يغيب عنه شىء .

﴿يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله﴾ (١) .

وكل أعمالنا مسجلة علينا فى كتاب . .

﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾ (٢) .

وهكذا تعزز هذه السورة القواعد التى ميزت عقيدة البعث فى الإسلام وهى :

١ - ان الخلق جميعا يبعثون يوم القيامة .

﴿وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا﴾ (٣) .

٢ - إن هذا العالم يفنى ويزول . .

﴿كل من عليها فان﴾ (٤) .

(٣) سورة الكهف / ٤٧ .

(٤) سورة الرحمن / ٢٦ .

(١) سورة لقمان / ١٦ .

(٢) سورة الكهف / ٤٩ .

﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(١).

٣ - إننا مجازون على أعمالنا خيرا كانت أو شرا . . .

﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾^(٢).

٤ - إننا شهداء على أنفسنا، ويشهد بعضنا على بعض،
ويشهد علينا ما حولنا.

﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم﴾^(٣) . . .
﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾^(٤).

٥ - إن كل إنسان مسئول عن عمله ومجازى به . . .
﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى﴾^(٥) . . . ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(٦).

٦ - وهذا يعنى أنه لن يفيدنا إلا أعمالنا، فلا ينفعنا قريب أو
حبيب.

﴿يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من
رحم الله﴾^(٧) . . . ﴿واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده، ولا
مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق﴾.

وهؤلاء الذين يدعون أنهم يستطيعون أن يعطوا الغفران
للناس، وأن يفتحوا لهم أبواب الجنة خادعون كاذبون . . .

(١) سورة القصص / ٨٨.

(٢) سورة الجاثية / ٢٩.

(٣) سورة النحل / ٨٩.

(٤) سورة النور / ٢٤.

(٥) سورة النجم / ٣٩.

(٦) سورة فاطر / ١٩.

(٧) سورة الدخان / ٤١.

وهؤلاء الذين يدعون نبيا أو إنسانا أراق دمه ليفدى البشرية
من خطاياهم خادعون كاذبون . .

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾^(١) . . ﴿وكل امرئ بما
كسب رهين﴾^(٢) .

٧ - والأعمال كلها لها وزن عند الله صغرت أو كبرت ، وقد
فتح الإسلام بذلك أبواب الخير واسعة ، وجعل أبواب الشر
مغلقة .

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره . .﴾ .

ولقد تربي المسلمون بهذه الآية على فعل الخير . .
كيف كان : -

هذا رسول الله ﷺ يقول :

«لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»

أى باسم . .

ويقول :

﴿اتقوا النار ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة﴾^(٣) .

وقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بعنبة ، وقالت كم فيها
من مثقال ذرة؟ كما استعظم المسلمون الذنب أيا كان حتى ضعفت
قلوبهم وسلمت ضمايرهم يقول صلوات الله عليه : «يا عائشة إياك
ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا»^(٤) .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه أحمد .

(١) سورة المدثر / ٢٨ .

(٢) سورة الطور / ٢١ .

تدريبات

١ - متى تنزل الأرض ؟ وماذا يخرج منها ؟ .

٢ - تنزل الأرض يوم لأن الله
لها ويخرج من باطنها و

٣ - تشمل عقيدة المسلم الإيمان بالله و
و و

٤ - يوم القيامة يصدر أشتاتاً ليرى
جزاء سواء كانت أم

٥ - تؤكد عقيدة البعث هذه الحقائق :-

١ - أن الناس يوم القيامة .

٢ - وأنهم على أعمالهم .

٣ - وأن من عمل دخل الجنة .

٤ - ومن أساء

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ۝١
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣

سورة العصر

الاسلام والحياة

﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ ..

اللفظة :

العصر : الزمان .

خسر : خسران وهلاك وضياع .

تواصوا : أوصى بعضهم بعضا ، ونصح بعضهم بعضا .

التفسير :

هذه السورة الكريمة توضح منهج الإسلام في الحياة ، وتشرح نظرة الإسلام إلى مجتمعات الناس ، هذه النظرة الشاملة تلخصها السورة في كلمات قليلة ولكنها جامعة ، فالناس جميعا ضائعون خاسرون إلا من آمن وعمل الخير وتواصى مع إخوته بالتزام الحق والصبر على ما يلاقى ..

ولأن هذه السورة ترسم للدنيا طريق الصلاح والفلاح ..

«كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر»^(١) ..

ولأن هذه السورة توضح منهج المسلم في حياته كان الشافعي رحمه الله يقول: «لوتدبر الناس هذه السورة لوسعتهم» .

(١) رواه الطبراني .

والعصر: يقسم الله تبارك وتعالى بالزمان، والله يقسم بنفسه أو بما شاء من مخلوقاته ليلفت نظرنا إليها، وليبين لنا عظيم شأنها، أما نحن فلا نقسم إلا بالله أو بصفة من صفاته . . يقول رسول الله ﷺ: «من كان منكم حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»^(١).

يقسم الله تعالى على هذا المنهج الذى وضعه لعباده فى جميع الأزمان والعصور قديمها وحديثها . .

هذا المنهج : أن الناس جميعا خاسرون إلا الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحة واوصى بعضهم بعضا بالتزام الحق والصبر على الطاعة والأذى والصبر على دفع شهوات النفس . . هذا هو المنهج، وهو كما ترى يتكون من أربع قواعد:

١ - الإيمان: والإيمان المنجى هو الإيمان بالله وبكل صفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله جميعا لا نفرق بين أحد من رسله والإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

٢ - وهذا الإيمان لا يكمل إلا بعمل الصالحات، والصالحات كل أعمال الخير التى ينفع المؤمن بها نفسه وينفع بها أهله وينفع بها مجتمعه، وينفع بها الإنسانية جميعا، ليست الصالحات خاصة بأعمال معينة دون غيرها فالذى يزرع يريد وجه الله ثم خير الناس - يعمل الصالحات، والذى يدافع عن دينه ابتغاء وجه الله يعمل الصالحات، والذى يقيم المصنع لخير أمته - يعمل الصالحات.

(١) رواه البخارى .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :-

(ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة).

أ - فالأعمال الصالحة هي الثمرة الأولى للإيمان .

ب - وليس هناك عمل صالح بغير الإيمان ، فكل عمل مهما بدأ صالحاً لم يسبقه الإيمان لا قيمة له :

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ (١).

﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ (٢).

ج - والأعمال الصالحات تشمل أعمال الحياة جميعاً التي يحتاج إليها المسلمون في رفع شأنهم وصلاح دينهم ودنياهم .

٣ - التواصي بالحق : والتواصي : التناصح ، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الهداية والإرشاد، وهو دفع الفساد، وجلب الخير للأمة المسلمة وليس في منهج الإسلام ناس يقومون بالنصح والإرشاد دون غيرهم ، فالمسلمون جميعاً مسئولون أمام الله عن دينهم ودنياهم وأمورهم من الله بقول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (٣).

(١) سورة النور / ٣٩ .

(٢) سورة الفرقان / ٢٣ .

(٣) سورة آل عمران / ١٠٤ .

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾^(١).

والحق الذى ندعو إليه ونتواصى به هو كل ما أمر الله به أو نهى عنه وهو كل طاعة وكل ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم . . . إنه صلاح هذه الأمة وخيرها.

٤ - والتواصى بالصبر : هو لازم من ألزم حاجات العمل فى سبيل الله ، ومن ألزم حاجات الفوز والنجاح فى كل عمل . . .
فالعاملون يلاقون من الأعداء المقاومة والمعاندة ولولم يصبروا على ما يلاقون لفشلوا.

والعاملون المؤمنون يلاقون من دنياهم الشهوات واللذات والمغريات ولولم يصبروا لفشلوا.

والعاملون المؤمنون تصيبهم الكوارث والمحن ، وتنزل بهم المصائب ، ولولم يصبروا لهلكوا وفشلوا.

لذلك كان مجتمع المؤمنين يتواصى بالالتزام بالصبر حتى يأتى النصر:

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾^(٢).

تدريبات

١ - ما المنهاج الذى حدده الله تبارك وتعالى لعباده وأقسم عليه فى هذه السورة ؟ .

(١) سورة التوبة / ٧١ .

(٢) سورة الشورى / ٤٣ .

٢ - يقسم الله تبارك وتعالى بمخلوقاته فلماذا؟ وهل يجوز أن
نقسم نحن بها؟ .

وضح رأيك

٣ - وضح حكم:

١ - من أقسم بأبيه :

٢ - من أقسم بشيخه :

٣ - من أقسم بغير رجل صالح :

٤ - من أقسم بقدرة الله وعزته :

٤ - يقوم منهاج المسلم في حياته على قواعد أربع هي :

١ -

٢ -

٣ -

٤ -

٥ - نقول بعض الأديان أن أمر الدين له رجال مخصوصون ،
فماذا يقول الاسلام ؟ .

٦ - العمل الصالح في نظر المؤمن هو الذى :-

١ -

٢ -

٣ -

٧ - الذين يعملون أعمالا طيبة لا تقبل منهم إذا لم
يسبقها

٨ - يقول رسول الله ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره :
اذكر الآية التى تتفق مع هذا الحديث .

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّبِ ① فَذَلِكَ الَّذِي
يَدْعُ الْيَتِيمَ ② وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

سورة الماعون

تعاون المجتمع الاسلامى

اللفظة :

الدين : الجزاء والحساب .
يدع : يدفع ويؤذى ويهين .
لا يحض : لا يحث ولا يدعو بقوة .
فويل : هلاك .
ساهون : غافلون .
يراؤون : يعملون بغير إخلاص ليرضوا الناس .
الماعون : الأدوات التى نستعين بها فى حياتنا كالقلم والكتاب
والفأس والسيارة .

الشرح :

هذه السورة توضح حقيقتين من منهج هذا الدين تميز بهما ،
وتميز المؤمنون به بالسير على هداهما :
الأولى : أن حقيقة الإيمان لا تظهر قيمتها ولا يبدو أثرها إلا
بالأعمال الصالحة والذى يدعى الإيمان ولا يعمل عملا
صالحا ، أو يباشر الأعمال الفاسدة لا قيمة لإيمانه ولا تقبل
دعواه .

«فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل» .
(والإسلام دين عقيدة وعمل) .

فالذى يهين اليتيم ولا يحسن إليه ولا يأخذ بيده مكذب بيوم
القيامة يوم الجزاء ويوم الحساب .

والذى لا يساعد المساكين ويدعو إلى معونتهم ، ورفع ضيق
الحياة عنهم مكذب بيوم الدين يوم الجزاء ويوم الحساب .

هكذا يربط الإسلام بين حقيقة العقيدة المستقرة في قلب
المؤمن وبين العمل في الحياة ، فمن صدقت عقيدته استقام عمله
في الحياة .

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا
يحض على طعام المسكين﴾ .

إذ لو كان مؤمنا حقاً بيوم الجزاء ويوم الحساب لسارع إلى
إكرام اليتيم ومساعدة المسكين .

والقرآن يسوق هذا المعنى الرائع في صورة سؤال عجيب :

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ ؟ ، وهو يخاطب كل عاقل :
أرأيت ؟ .

والناس يتوقعون أن يكون الجواب : هو الكافر الذى ينكر
البعث ، ولكن القرآن الكريم يأتى بالجواب الذى يدل على ربط
العمل بصلب العقيدة ، وهو فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض
على طعام المسكين .

والثانية : أن العمل الصالح لا قيمة له ما لم يرتبط بنية خالصة
وعقيدة سليمة وأن يكون ابتغاء وجه الله ، فالذى يصلى
ولا يريد وجه الله وإنما يريد الرياء والسمعة لا قيمة
لصلاته بل صلاته طريقه إلى النار .

والذى لا يأتى بالصلاة كما أمر الله بها لا قيمة لصلاته، بل
هى طريقه إلى النار.

والذى لا يتقدم بعمل الخير يدفع به حاجة المحتاجين
وينفعهم به إنما يسير فى طريق الهلاك...

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين
هم يراءون ويمنعون الماعون﴾.

والسورة تسوق هؤلاء فى صورة الهالكين الضائعين فى نار
جهنم:

(فويل) أى هلاك ودمار فى النار، وتقدم صورتين للمصلين
الضائعين:

١ - صورة المصلى الذى يغفل عن صلاته حتى يخرج
الوقت فلا يؤديها كما أمر الله.

٢ - والمصلى الذى يؤدي صلاته لأجل أن يراه الناس
ويعجبون به ولا يؤديها ابتغاء وجه الله وهو المرائى المنافق.

وهذا الذى يفعل ذلك ليس لديه إيمان سليم فى قلبه،
ولذلك ساء عمله، وساء علاقته بإخوانه ومجتمعه، فلا يتقدم
لهم بمساعدة، ولا يؤدي لهم معونة ﴿الذين هم يراءون ويمنعون
الماعون﴾...

تدريبات

١ - الذى يكذب بالدين هو الذى ينكر القيامة والبعث ،
والذى يكذب بالدين هنا هو الذى .

٢ - ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ﴾ استخرج من هذه السورة الآيات التى فيها مثل هذا
المعنى .

٣ - يربط الإسلام بين العقيدة و ..
فالمسلم الذى سلمت عقيدته يسلم ..
والمسلم الذى عقيدته فسد ..

٤ - إن الله لا يقبل من العمل إلا العمل ..

٥ - لا يقبل عمل الخير إلا إذا سبقته ..

٦ - المجتمع الإسلامى مجتمع يقوم على
بالله ، وهذا الإيمان هو الذى يدفع المسلم إلى

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ

عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْسَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

سورة الحجرات

الأخلاق الإسلامية

كما يتصل كل عمل يأتي به المسلم بعقيدته، تتصل أخلاق المسلم أيضاً بإيمانه وعقيدته، فالمؤمن يعمل الخير لأن الله دعاه إليه والله يحبه، ويمتنع عن الشر لأن الله نهى عنه والله يكرهه، ولذلك:

صدر القرآن الكريم دعوته إلى الخير والخلق الطيب بهذا النداء:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

لأن الإيمان وحده هو الذي يدفعنا إلى الطاعة والعمل، والذي لا إيمان عنده لا خير فيه..

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾.

السخرية والاحتقار - والقوم هنا هم الرجال..

لا يجوز للمؤمن أن يحتقر أخاه أو يهزأ به..

أولاً: لأن المؤمن كريم على الله، وقد صانه الله وحرّم عرضه على الناس..

يقول صلوات الله عليه:

«كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»^(١).

(١) رواه الترمذى ومسلم.

ثانيا : لأن الاحتقار خلق سيء ، والمؤمن حسن الخلق . . يقول
الرسول الكريم ﷺ : « البر حسن الخلق » (١) .

ثالثا : لأن هذا الذي تحتقره قد يكون أفضل عند الله منك .
« إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن
ينظر إلى قلوبكم » (٢) .

ولا تلمزوا أنفسكم : اللمز : العيب باللسان والطنع في
أعراض الناس . . والله يؤزون توعدهم الله بالعذاب الشديد . .
﴿ ويل لكل همزة لمرة ﴾ (٣) .

فكانها لمز نفسه ، ولذلك قال الله تعالى :
﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ . . ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ .
أى لا يناد بعضكم بعضا بالألقاب القبيحة والكلمات
البذيئة .

« فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره » . .
« وحسب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) . .
﴿ بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾ : بشئ : قبح -
الفسوق : المعصية قبيح بكم أن تسموا عصاة فساقا بعد أن
أصبحتم مؤمنين ، فإن حقيقة الإيمان تمنع من المعصية ، فإن كنتم
مؤمنين حقا فلا يحدث منكم هذه الأمور القبيحة .
﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ : والله قد فتح لكم
باب التوبة من الذنوب ، فمن وقع منه شيء من ذلك فليسارع إلى

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الهمزة / ١ .

(٤) رواه الترمذى .

التوبة والاستغفار، فالتائب حبيب الرحمن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن لم يفعل ذلك فقد ظلم نفسه لأنه عرضها لغضب الله وعقوبته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ : اجتنبوا : ابتعدوا - اثم : ذنب : وينادى الله عباده المؤمنين أن يحسنوا الظن بالمؤمنين، فإن سوء الظن في المؤمن بغير بينة ذنب، أما سوء الظن بالأعداء والفساق فلا ذنب فيه، والمراد بسوء الظن هنا التهمة بغير دليل، فأمر المؤمن بحمل دائها على الخير. يقول عمر رضى الله عنه :

«لا تظن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيرا وأنت تجد لها في الخير محملا».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(١).

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ : التجسس هو البحث عن عيوب الناس

خفية ..

فلا يجوز للمسلم أن يبحث عن عورات الناس وعيوبهم لأن ذلك اعتداء على كرامة المسلم، والله قد جعل كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه إلا بالحق، بل لقد جعل الإسلام كرامة المسلم وحرمة أعظم من كرامة الكعبة وحرمتها، يقول صلوات الله عليه وهو يطوف بالكعبة :-

«ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك،

(١) رواه البخارى.

والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك - ماله ودمه - وأن يظن به إلا خيرا» (١).

ويقول صلوات الله عليه :-

«إنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته» (٢).

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ : ينهانا الله تعالى عن الغيبة، وهى أن نتحدث عن المسلمين بما يكرهون، فالمسلم يحافظ على أخيه ولا يتكلم عنه إلا بما يرضيه.

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . . كما يحدثنا رسول الله صلوات الله عليه .

ومهما كان الحديث عن المسلم بما يكره شيئا يسيرا فهو محرم لا ينبغي أن يقع منا، تقول عائشة رضى الله عنها : قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفة كذا وكذا تعنى أنها قصيرة . . فقال صلوات الله عليه :

«لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (٣) . . أى لو خلطت بماء البحر لغيرت لونه من سوئها .

فلا يصح لنا أن نتحدث عن المسلمين إلا بما يحبون، ولكن عند الشهادة أو المصلحة الظاهرة فيجوز أن نتحدث بما نعلم وإن كان مما يكرهه المسلم .

فقد قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت قيس وهى تستشيريه فى رجلين خطباها فقال لها :-

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أبو داود .

«أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» (١).

﴿أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ :
ولاشك أنها صورة لا يرضاها أحد وكلنا نكرهاها، ولذلك قال
تعالى ﴿فكرهتموه﴾ فإذا كنتم تكرهون هذه الصورة فلا شك
أنكم تكرهون الغيبة لأنها مثلها.

ثم ختم الله ذلك كله بقوله :

﴿واتقوا الله، إن الله تواب رحيم﴾ . . أى احذروا عقاب
الله على هذه الذنوب فامتنعوا عنها، وإن تبتم وتركتموها فالله يقبل
التوبة عن عباده، ويعجل لهم من رحمته وفضله . .

﴿يا أيها الناس﴾ : ينادى الله الناس جميعا لا فرق بين مسلم
وكافر أو ذكر وأنثى لأن ما جاء في هذه الآية يتفق فيه الناس
جميعا . .

﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا﴾ . . جعلناكم من أب واحد هو آدم وأم واحدة هى
حواء، كل الناس يتسبون إليهما، العرب والترك والألمان والهنود
والهاوسا والماندنك كلهم أبوهم آدم وأمهم حواء، فلا معنى لأن
يفخر أحد على أحد أو شعب على شعب، يقول رسول الله ﷺ
وهو يخطب أصحابه فى حجة الوداع :

«أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل
لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود

(١) ذكره ابن كثير .

ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت» (١) .

فالله خلقنا من ذكر وأنثى لا لنختلف أو يقتل بعضنا بعضا ، ولا لتتفرق في الأرض ونصبح أمما تستعبد أمما ، وأجناسا تتعالى على أجناس ، وإنما للتعاون ونتعارف ويأخذ بعضنا بيد بعض فليس للألوان ولا للأوطان ولا للأجناس ميزان عند الله ، إن الميزان الذى يحدد منزلة كل واحد هو التقوى .

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ : القيمة الحقيقية للإنسان هي تقواه لربه ، وهذه التقوى لا يعلمها إلا الله ، فمكان التقوى القلوب ، والله وحده هو الذى يعلم أسرار القلوب يقول رسول الله ﷺ :

«التقوى ها هنا ، وأشار إلى صدره ثلاثا» (٢) .

وعلى ذلك فإن مراتب الناس التى بها يتفاضلون إنما هي عند الله وحده ، أما فى دنيانا فالناس سواء . . .

«الناس بنو آدم وآدم من تراب» (٣) .

والذين يحاولون أن يقسموا البشرية إلى أجناس بعضها فوق بعض هؤلاء عنصريون بعيدون عن منهج الله فى دينه ، وهؤلاء يخاطبهم رسول الله ﷺ بقوله :

«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِرِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعَلَانِ» (٤) . .

(١) رواه البيهقى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أبو داود والترمذى .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بَصِيرٌ﴾ : عَلِيمٌ بِهِؤَلَاءِ الَّذِينَ يَفْرَقُونَ بَيْنَ
عِبَادِ اللَّهِ فَيَرْفَعُونَ هَذَا وَيُخَفِّضُونَ هَذَا ، عَلِيمٌ بِكُلِّ أَحْوَالِكُمْ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْلِحْ لَكُمْ فَيُشْرِعُهُ لَكُمْ خَيْرُكُمْ ، وَخَبِيرٌ بِكُلِّ أُمُورِكُمْ .

تدريبات

- ١ - عن أى شىء نهى الله فى الآية الأولى ؟ .
- ٢ - فى الآية الثانية أمر واحد ونهيان . . اذكر كلا منهما .
- ٣ - التجسس حرمه الله ، ولكن أحيانا يكون حلالا . .
مثلاً التجسس الحلال والتجسس الحرام .
- ٤ - اذكر العيوب الخلقية التى حرمها الله علينا فى الآيتين
الأوليين :

- | | |
|-----|-----|
| - ٢ | - ١ |
| - ٤ | - ٣ |
| - ٦ | - ٥ |

٥ - بعض الظن إثم وبعض الظن ليس بإثم . . اشرح هذه
العبارة .

٦ - اذكر أمثلة للغيبة .

٧ - رسمت الآية صورة قبيحة للذى يغتاب المسلم ، اذكر
هذه الصورة .

٨ - قد يذكر المسلم عيوب أخيه فى غيبته ، ولا يكون
مغتتابا . . اذكر مثالا .

٩ - كل الناس أبوهم . . وأمهم . . ولذلك فهم
ويتفاضلون عند الله بـ .

سُورَةُ الْقَدَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
 لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ
 فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾



نزول القرآن سورة القدر

هذه السورة الكريمة سورة مكية، نزلت تبشر الدنيا بأمرين
فيهما سعادة البشرية :

الأول : أن هذا القرآن بدأ نزوله في ليلة القدر، والقرآن الكريم
إنما نزل هداية للعالمين . .

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ (١).

وتعلن السورة - وهي تسوق هذه البشري - أن هذا القرآن
نزل في ليلة عظيمة القدر، ليلة مباركة . . ﴿إنا أنزلناه في ليلة
مباركة، إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من
عندنا إنا كنا مرسلين﴾ (٢).

والقرآن نزل في خير شهور السنة، نزل في رمضان المبارك . .
﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان﴾ (٣).

وهذا إشارة واضحة الى فضل القرآن وعظمته وأنه نزل
لسعادة الأمم وهدايتها : . .
﴿كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
ياذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ (٤) . .

(١) الاسراء / ٩ .

(٢) الدخان ٢ - ٤ .

(٣) البقرة / ١٨٥ .

(٤) ابراهيم ٢ .

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام﴾ (١) . .

وقد استمر القرآن ينزل بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

والأمر الثانى : إن هذه الليلة التى نزل فيها القرآن تفضل الله بها على هذه الأمة فجعلها خيرا من ألف شهر، لما فيها من الثواب العظيم، والاجر الكريم للمؤمنين الصالحين، فالله تبارك وتعالى يقول :
﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ .

أى ليلة الشرف العظيم لهذه الأمة لنزول القرآن الكريم فيها، وهو الذى يرفع قدرها ويعلى شأنها إذا تمسكت به، وسارت على شريعته . .

ثم بين الله تعالى عظيم قدر تلك الليلة بهذا الاستفهام . .
﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أى أن عظمة هذه الليلة شىء يخرج عن علم الناس، ثم بين قدرها بقوله تعالى ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ . .

أى أن فضل هذه الليلة وثوابها عند الله خير من عبادة شهر ليس فيها ليلة القدر.

وإذا كان القرآن نزل فى ليلة القدر ونزل فى رمضان فليلة القدر إذن فى شهر رمضان، وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله :

(١) المائدة / ٤٥ - ٤٦ .

«التمسوها في العشر الأواخر من رمضان» (١).

ثم بين لنا الله تبارك وتعالى ما فيها من الخير بقوله :
﴿تنزل الملائكة والروح﴾ (أى جبريل) فيها . . أى فى ليلة
القدر . . ﴿بإذن ربهم . . ﴾ أى بأمره وإرادته ﴿من كل أمر﴾ أى
من أجل كل أمر قضاء الله لعباده .

أى أن الملائكة يكثر نزولها فى هذه الليلة العظيم بركتها
وينزل معهم جبريل ، يطوفون بالمؤمنين العابدين ، فيلتمسون
مجالس الخير ليحفوا بهم تكريما لهم وتعظيما لشأنهم .
﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ : أى ما فيها الا الخير
والسلام والأمان للمؤمنين فلن ينالهم فى تلك الليلة الا الخير ، ولا
يأتيهم من قبل الله إلا السلام ، وكذلك الملائكة تنشر السلام فى
الأرض حتى مطلع الفجر .
يقول صلوات الله عليه :

«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من
ذنبيه» (٢).

(١) رواه البخارى .

(٢) متفق عليه .

تدريبات

١ - بدأ نزول القرآن في شهر ولكنه استمر
عاما منها ثلاثة عشرة سنة في ينزل
في

٢ - ضع الكلمات المناسبة مكان النقط من الجملة الآتية :
- خير ليالى السنة ليلة وخير أيام الأسبوع
يوم وخير شهور السنة شهر ..

٣ - أكمل الجمل الآتية :
- ليلة القدر خير من وفيها تنزل الملائكة
مع ينتشرون حتى
مطلع وهى فى شهر وفى الليالى
العشر منه .

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤

«سورة العلق»

«أول ما نزل من الوحي»

هذه الآيات الخمس الكريمة هي الآيات الأولى من سورة العلق، وهي أول ما استقبلته الأرض من وحي السماء في رسالة خاتم المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه وهي أكبر شاهد على صدق دعوته وأنه مرسل من ربه.

١ - فهو صلوات الله عليه كان لا يدري شيئاً عن الوحي وعن القرآن وعن النبوة.

﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾^(١).

٢ - وهو صلوات الله عليه لم يكن يقرأ كتاباً ولا يخط حروفاً.

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك، إذن لا رتاب المبطلون﴾^(٢).

٣ - وهو صلوات الله عليه لم يكن يتوقع نزول الوحي وهو في غار حراء، ولذلك فوجيء به فارتعد جسمه، وشعر بالاضطراب والخوف حتى ذهب إلى أهله يقول:

«زملوني . . . زملوني»^(٣)

(١) سورة الشورى / ٥٢ .

(٢) سورة العنكبوت / ٤٨ .

(٣) رواه البخاري .

ولقد حفظ لنا التاريخ خير وثيقة تشرح لنا الصورة التي التقى فيها الرسول الكريم بالوحي ، وتبين لنا حال الرسول صلوات الله عليه عند هذا اللقاء . . . تروى عائشة رضى الله عنها : «وكان يخلو في غار حراء يتحنث فيه - وهو التعب - الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتردد إلى ذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك ، فقال اقرأ . قال : ما أنا بقارىء ، فقال فأخذني فغطني (أى ضمنى بشدة) حتى بلغ منى الجهد (أى التعب) ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ : فقلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة ثم قال ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ .

فرجع بها رسول الله ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال زملونى زملونى^(١) (أى ألقوا على الغطاء) لأنه كان يرتعد من المفاجأة . .

فأنت ترى في هذه الوثيقة النادرة كيف استقبل رسول الله الوحي ، وكيف كانت مفاجأته ، وكيف كان قبلها مثل سائر الناس لا يدري من أمر الوحي شيئاً .

هذه الآيات الكريمة إذن هي أول أضواء القرآن ، وهي أول فيض أنوار هذا الدين ، وهي كذلك مشرق النور الهادى على

(١) رواه الامام أحمد وروى كذلك في الصحيحين .

هذا الكون ليحي بكلمة الله ، ويهتدى بنور الله ، ويسعد برسالة محمد ﷺ . .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١) . .

ومن العجب أن تكون أول كلمة هادية من عند الله تبارك وتعالى لعباده هي : اقرأ . . في أول سورة استقبلتها الأرض ، وأن يكون القلم هو عنوان السورة الثانية ، وكل ذلك دليل على أن هذا الدين جاء يعلم الإنسانية ، ويرفع شأنها بالعلم ، ويقودها في طريق الحضارة الصحيحة ، القائمة على هدى الله وشريعته .
فالقلم والقراءة والحضارة التي ترفع شأن البشرية هي التي تكون :

﴿باسم ربك الذي خلق﴾

بل إن كل شيء في حياة الإنسان ينبغي أن يرتبط ﴿باسم الله الرحمن الرحيم﴾ من أكله وشربه الى دأبه وسعيه إلى نومه ويقظته .

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾ (٢) .

وكما كانت هذه الآيات أول ما نزل فإنها تحدث الإنسان عن أول وجوده وهو الخلق ، وتجعل هذا الخلق دليل قدرة الله ومظهر نعمته . .

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق﴾ .

اقرأ باسم ربك الذي خلق كل شيء ، وليس هناك خالق

(١) سورة الأنبياء / ١٠٧ .

(٢) سورة الأنعام / ١٦٢ .

غيره، خلق السموات والأرض وما فيهن، ومن خلقه هذا الإنسان الذى خلقه من تلك النطفة التى تحولت إلى علقة تعلق بالرحم ثم تتحول إلى أشكال أخرى بقدرته، خلق هذا الإنسان المهين بلسانه، المنطلق بحركته فى الكون، خلقه من شىء صغير يسير ثم اذا به بنيان كبير..

﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (١).

هذا دليل رائع على قدرة الله وفضله، فمن قدرته أنه خلق من هذا العلق الصغير اليسير هذا المخلوق الكبير، ومن فضله وكرمه ونعمته، أنه حول هذا الماء المهين إلى إنسان يعقل ويفهم ويعلم، بل يستطيع أن يعلم غيره، وينشر فى الأرض الخير والهداية إذا سار فى طريق الله وهدى رسالته، فهذا مظهر كرم الله على الإنسان الذى كرمه ربه بالعقل والفهم..

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (٢).

ثم يظهر كرمه تعالى وفضله على الإنسان، أنه علمه وأودع فيه أسرارہ..

﴿وعلم آدم الاسماء كلها﴾ (٣) ..

وعلمه بالقلم، ذلك القلم الذى يفتح لنا أبواب المعرفة، ويفتح لنا طريق الرقى والحضارة، ويفتح لنا سبيل العلوم كلها، فهو منشأ التحول من الجهل إلى العلم، فانظر كيف يبدأ هذا

(١) سورة النحل / ٤.

(٢) سورة الاسراء / ٧٠.

(٣) سورة البقرة / ٣١.

الدين صلته بالأرض، إنها بداية رائعة، بداية تلفت نظر الناس إلى أن خيرهم في العلم.

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾^(١).

﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٢).

وهذا العلم الهادي المشرق الذي يسعد الإنسانية إنما هو من عند الله، يلهمه لعباده المؤمنين ويرشد إليه السالكين في طريق الخير والحق..

﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

تدريبات

١ - كيف كان نزول الوحي كما فهمت من حديث عائشة (رضي الله عنها) ؟.

٢ - ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (×) أمام الإجابة الخطأ:

- بدأ نزول الوحي ورسول الله في الطائف.
- بدأ نزول الوحي ورسول الله في المدينة.
- بدأ نزول الوحي ورسول الله في مكة.

(١) سورة المجادلة / ١١ .

(٢) سورة الزمر / ٩ .

- كان نزول الوحي لأول مرة في منزل خديجة رضى الله عنها .

- كان نزول الوحي لأول مرة عند الكعبة .

- كان نزول الوحي لأول مرة في غار حراء .

٣ - أكمل العبارات الآتية :

عندما قال جبريل لرسول الله ﷺ اقرأ . قال رسول الله وفى المرة الثالثة قال جبريل اقرأ ..

٤ - ضع الجمل الآتية في مكان النقط :

- كرم الله الإنسان - لم يكن يعرف القراءة .

- دين حضارة ومدنية .

قال رسول الله لجبريل ما أنا بقارىء ، فدل ذلك على أن رسول الله

- إن أول كلمة نزلت من القرآن هي اقرأ ، وهذا دليل على أن الإسلام

- فعلمه ما لم يعلم .

❁ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ

الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

آيات الجهاد

سورة النساء

إن هذا الدين كلمة الله إلى عباده جميعا، ورسالته إلى الخلق كافة:

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾^(١).

وهودين عزة وكرامة، فالؤمن لا يقبل الذلة إلا لله، ولا يرضى بالخضوع والعبودية إلا لله:

﴿والله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾^(٢).

ولذلك شرع الله الجهاد لهذه الأمة، وجعله فريضة من فرائضه:

«الجهاد سنة ماضية إلى يوم القيامة».

بل جعله من أفضل الأعمال عند الله، يقول أبوذر: قلت يا رسول الله: أي العمل أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله»^(٣) . . .

وقد أمر الله به عباده قائلا:

﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾.

(١) الفرقان / ١

(٢) المنافقون / ٨

(٣) متفق عليه.

يشرون : يبيعون . . أى فليقاتل فى سبيل رفع كلمة الله وإعلاء شأن دينه المؤمنون الذين باعوا دنياهم ليطلبوا الآخرة ، فالآخرة عندهم خير وأبقى . .

﴿ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ .

يغلب : ينتصر نؤتيه : نعطيه .

- أجرا عظيما : ثوبا عظيما وهو الجنة فى الآخرة والعزة والكرامة والنصر فى الدنيا .

«ومن يقاتل أعداء الله وغايته رفع شأن المسلمين وإعلاء دينهم ابتغاء مرضاة الله فإن الله تكفل له إن قتل أن يكون شهيدا له أجر الشهداء ، وإن انتصر فله الكرامة فى الدنيا والآخرة» .

وقد جعل الله تعالى نهاية جهاد المؤمنين واحدة من اثنتين : إما أن ينتصر ، وإما أن يستشهد (فيقتل أو يغلب) فلهزيمة والفرار من الجهاد ليس من طبيعة المؤمن الذى يسعى فى جهاده طالبا إحدى الحسنين :

النصر أو الشهادة .

﴿وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ .

- المستضعفون : العجزة والضعفاء كالشيوخ والنساء والمرضى والأطفال .

- القرية الظالم أهلها : المجتمع الذى يعمه الظلم والإرهاب والكفر .

- وليا: معينا ومساعدًا .

في هذه الآية يحدثنا القرآن الكريم عن غاية نبيلة من غايات الجهاد . .

فالجهاد هنا الجهاد في سبيل إنقاذ الضعفاء الذين يسيطر عليهم الظالمون ويقسو عليهم الطغاة ، فالله يشرع لنا أن نجاهد لإنقاذهم ورفع الظلم عنهم . .

وكل اعتداء من الظالمين على كرامة المسلمين وأموالهم وأعراضهم فهو ظلم يشرع الله لنا فيه الجهاد لندفعه، ونسترد الحق . .

يقول صلوات الله عليه وسلامه :

«من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» (١) . .

﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ .

الطاغوت : كل ما يعبد ويقصد من دون الله ، فالشيطان طاغوت ، وشهوات النفس طاغوت والأصنام طاغوت . .
كيد الشيطان : قوته ومكره .

وقد وضحت الآية حال المستضعفين ، فذكرت أنهم يعيشون في مجتمع ظلم وقسوة ، يتمنون أن يخرجوا منه ، وإنهم يدعون ربهم أن يجعل لهم ناصرا ينصرهم ، أو قائدا يقودهم إلى

(١) رواه الترمذی .

النصر، وهذا إشارة ربانية إلى أن الجهاد يحتاج إلى تنظيم وإلى قيادة وإلى إعداد . .

هذا فيصّل ما بين طريقتين، طريق المؤمنين في جهادهم وطريق الظالمين والكافرين في قتالهم .

المؤمنون يقاتلون في سبيل الله، وسبيل الله هو طريق الخير، طريق الحق، طريق العدل، طريق الهداية والرشاد، وكل ما هو حق فهو سبيل الله . .

الجهاد في سبيل الله رفع كلمة الدين سبيل الله .

الجهاد في سبيل رد عدوان الظالمين سبيل الله .

الجهاد لحماية أعراض المسلمين سبيل الله .

الجهاد لحماية أوطان المسلمين سبيل الله .

الجهاد لاسترجاع بلاد المسلمين سبيل الله .

الجهاد لإنقاذ الضعفاء والمظلومين سبيل الله .

أما الذين يقاتلون لرفع شأن دنياهم، أو رفع شأن قومياتهم، أو لاستغلال أرض غيرهم أو لاستعباد الشعوب والأمم، فهؤلاء يقاتلون في سبيل الشيطان . .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله . . الرجل يقاتل للمغنم . . والرجل يقاتل

ليذكر . . والرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية . . فمن في سبيل الله ؟ .

فقال رسول الله ﷺ :

«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (١) .

(١) متفق عليه .

وقد طلب الله من المؤمنين أن يجاهدوا هؤلاء الذين يقاتلون في سبيل أعراض الدنيا الرخيصة، وأكد لهم أن هؤلاء مهملات اجتماعت قوتهم فإن ذلك لن ينفعهم أمام جهاد جنود الله، لأن هؤلاء ينتصرون بالشیطان، ومكر الشيطان ضعيف أمام كيد الله وحوله وقوته.

تدريسات

- ١ - لماذا يقاتل المسلم ؟ .
- ٢ - نهاية جهاد المسلم
اختر الإجابة الصحيحة من العبارات الآتية :
- النصر أو الشهادة . - الغنيمة أو الفرار .
- احتلال الأرض واستعباد العدو .
- رفع شأن وطنه واستغلال أعدائه .
- ٣ - ﴿والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ . .
طلب المستضعفون ثلاثة أشياء هي :-
 - ١ -
 - ٢ -
 - ٣ -
- ٤ - هناك فرق واضح بين جهاد الذين آمنوا وجهاد الذين كفروا، ما هذا الفرق ؟

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

إمارة الرياض

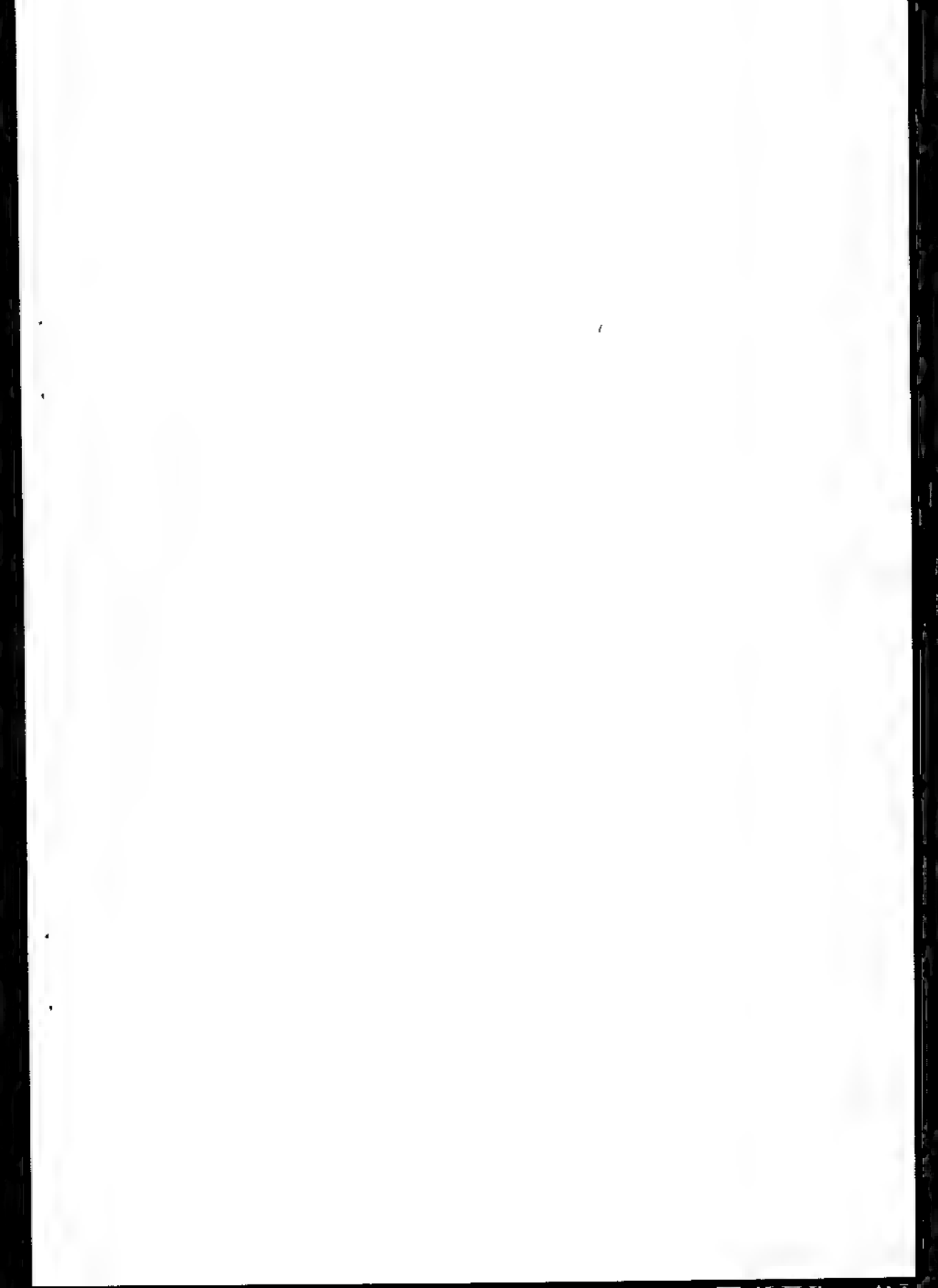
مركز مسنون الدعوة

الدورات التدريبية

تفسير القرآن الكريم

إعداد الأستاذ

أحمد الكردى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله . نستعينه ونستهديه ونثني عليه الخير كله . ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ونصلي ونسلم على نبينا
محمد صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته وسار
على طريقه إلى يوم الدين . وبعد :

فهذه شروح ميسرة لبعض آي الذكر الحكيم . قصدت بها
أن تكون سهلة التناول لدى الأخوة الدارسين للإسلام الناطقين
باللغة العربية وراعت في شرحها :

١ - أن أبتعد عن المصطلحات النحوية واللغوية والبلاغية
ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

٢ - أن يكون هذا الشرح مما يوافق الآيات من القرآن
الكريم ، ومن السنة المطهرة ومما يتبادر من الأداء اللغوي للكلمة
والعبارة .

٣ - أن يكون هذا الشرح تعريفا بالإسلام في عمومه
وشموله من خلال هذه الآيات الكريمة .

٤ - أن تكون الآيات المختارة شارحة للأهداف الأساسية
للإسلام والتي تعالج مشكلات الحياة المعاصرة سواء في العقيدة أو
في صلة الإسلام بغيره من الأديان . أوفى العبادات أوفى بناء
المجتمع ورعاية مصالحه أوفى نظام الأسرة وحقوق أعضائها . أوفى
فريضة الجهاد وعلاقة الأمة المسلمة بغيرها . أوفى منهاج الدعوة
إلى الله بنشر هذا الدين والمحافظة عليه .

وقد حاولت أن أجعل من الآية الكريمة محورا لبيان موقف الإسلام من موضوعات الآيات التي تعرضت لها، دون أن أتوقف عند المعنى الحرفي للآية. إيماناً مني بأن المعنى القرآني لا يكتمل بالنظرة الجزئية لأية ما. وإنما يتم ذلك بالنظرة الشاملة. وذلك بالاستعانة بالآيات الأخرى. وبما يوافق هذا الموقف من الحديث الشريف. وبما التقت عليه الأمة من فقه الإسلام وروحه.

٥ - وقد حاولت أن أجعل سيرى مع الآيات المختارة منطقياً. بحيث أبدأ أول الأمر بالعقيدة التي عليها مدار الدين كله، فكان حديثي عن الوحدانية وصدق النبوة والمعجزة القرآنية. ثم انتقلت إلى انحصار التدين في الإسلام وحده الذي هو وحي الله إلى كل رسله. ثم انتقلت إلى قيام الأمة الإسلامية على أساس هذا الدين الكريم موضحاً أن بقاءها في التزامها وفي وحدتها وفي دعوتها. ثم وضحت أن هذا الدين إنما يقوم على الإيمان بالله وبكل رسله دون تفرقة. فهذه الأديان التي تؤمن بالله و ببعض الرسل لا تمثل الدين الصحيح.

وبعد أن تكاملت الصورة السليمة للعقيدة في ذاتها ومقارنتها بغيرها قدمت الآيات التي تعطى الشرح التطبيقي لهذا الدين الكريم في «الدين الخالص» ثم في «الوصايا العشر» الإسلامية. ثم جاء دور السلوك المسلم وكيف يكون فقدمت «توجيهات ربانية» تعين مسار السلوك الإسلامي في العبادة والحياة. ثم قدمت الآيات القرآنية التي تحدثنا عن موقف الإسلام من بعض القضايا الهامة مثل الانفاق والمرأة والجهاد وغيرها... والله الموفق

أحمد الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى عبادة الله وحده

«سورة البقرة»

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤﴾

الدعوة إلى عبادة الله وحده

الشرح والتفسير :

يأيها الناس : نداء الهى عام يشمل البشرية جميعا، يستوى فيه العربى وغير العربى والمؤمن والكافر، فالجميع مطالبون بعبادة ربهم .

اعبدوا : العبادة، الخضوع والتذلل مع المحبة للمعبود، فالله يأمرنا بعبادته، وعبادته سبحانه هى توحيده وطاعته والتزام شرعه .

ربكم : مالكم وسيدكم والمدبر لأموركم والمتفضل بنعمه عليكم .

الذى خلقكم والذين من قبلكم :

أى اعبدوا الله ربكم الذى أوجدكم بقدرته، وتفضل عليكم بنعمه كما خلق آباءكم وأجدادكم بل خلق كل الموجودات التى كانت قبلكم، وهو وحده الخالق لهذا العالم كله، فهو المستحق للعبادة دون غيره .

لعلكم تتقون : اعبدوا ربكم، بعبادتكم هذه تلزمون طاعته وتحفظون أنفسكم من عذابه، فالتقوى فى حقيقتها هى مخافة الله التى تجعل المؤمن يلتزم بأوامر ربه، ويبتعد عن معصيته .

﴿الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ :

فراشا : سهلة ممهدة كالفراش فى سهولة الانتفاع بها .

والمعنى : اعبدوا ربكم الذى خلقكم وأنعم عليكم ، ويسر لكم الحياة فوق الأرض - بأن جعلها سهلة مبسطة صالحة لنفعكم ، بما أودع فيها من الخيرات ، ويسر نزول المطر من السماء لتخرج به الأرض نباتها ، وتخرج به الأشجار ثمارها ، ولتجدوا من كل ذلك أرزاقكم ، ولتستقيم به حياتكم .

﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ، ثم يميّتكم ، ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (١) .

﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ :

أندادا : آلهة تماثل الله فى الوهيته أو شركاء له فى خلقه .

والمعنى : ان الله وحده هو المستحق للعبادة وهو وحده الواحد الأحد لأنه الذى خلقكم وخلق كل شيء وهو الذى رزقكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فلا يصح أن تعبدوا غيره ، ولا يستقيم بعد كل هذا أن تجعلوا معه آلهة أخرى ، وكيف يستقيم ذلك وقد علمتم أنه وحده خالقكم ورزقكم وهو معكم اينما كنتم ، لذلك كان من أكبر الذنوب أن تجعل لله شريكا . . .

يقول ابن مسعود - رضى الله عنه : «قلت يارسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك» (٢) .

(١) سورة الروم / ٤٠ .

(٢) متفق عليه .

يقول رسول الله ﷺ : «يامعاذ أتدرى ما حق الله على عباده؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» (١).

صدق القرآن وصحة النبوة

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ :

الريب : الشك - عبدنا : المراد محمد ﷺ .

شهداءكم : أعوانكم الذين يشهدون معكم .

تحدى القرآن :

بعد أن قررت الآيات السابقة أن الله وحده هو الواحد الأحد المعبود بحق والرازق الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، شرعت هذه الآيات تثبت صحة النبوة بآثبات صدق القرآن ، وأنه منزل من عند الله ، فخاطبت المعاندين :

إن كان عندكم شك في صحة القرآن وصدقه وأنه من عند الله فأبدلوا كل طاقتكم واستعينوا بمن شئتم لتأتوا بمثل أقصر سورة منه ، فإذا عجزتم وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فقد ثبت حقا أن هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ فهو بشر مثلكم ، وإنما هو تنزيل من حكيم حميد .

﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (٢).

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٥ .

﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾^(١).

وقد سبق ذلك في مكة أن تحداهم أولاً أن يأتوا بكتاب مثله . يقول الله تعالى :

﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منها أتبعه﴾^(٢) .
فلم يأتوا بشيء ، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثل سورة فقال :

﴿أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾^(٣) .
فلم يستطيعوا أن يأتوا بشيء ، فتحداهم في مكة أن يأتوا بسورة مثل سورة فقال :

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾^(٤) .
ولكنهم أيضاً لم يستطيعوا ، فأعلن القرآن الكريم عجز الجن والانس - وإن تعاونوا - أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم ، فقال :
﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾^(٥) .
ولما هاجر الرسول الكريم إلى المدينة كرر تحدى المعاندين هناك فجاءت هذه الآية تعيد التحدى لسابق عهده وتعلن ان من

(٤) سورة يونس / ٣٨
(٥) سورة الامراء / ٨٨

(١) سورة هود / ١
(٢) سورة القصص / ٤٩
(٣) سورة هود / ١٣

شك في صدق القرآن الكريم فباب التحدى مفتوح، وعليه أن يأتي بمثل أقصر سورة فإن عجز الناس عن ذلك وجب أن يسلموا أن القرآن كتاب الله، وأن محمدا رسول الله .

والقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، تبقى كذلك إلى يوم القيامة، والتحدي به قائم إلى يوم القيامة، ومهما تقدمت العلوم والفنون والآداب فالقرآن أعلى وأجل من كل ذلك، وما زال يثبت صدق نزول القرآن وصحة النبوة مهما تطاولت الأعوام وتوالى الأيام .

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ (١).

من خاصية القرآن :

وهذا أمر انفرد به الإسلام في رسالة محمد ﷺ، فقد كان كل نبي له رسالة خاصة، فكانت معجزته خاصة، أما الإسلام الذي هو رسالة محمد عليه الصلاة والسلام فهو رسالة عامة خالدة فناسب ذلك أن تكون المعجزة عامة خالدة .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطى ما من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (٢).

(١) سورة ص ٢٩ .

(٢) رواه مسلم .

﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة أعدت للكافرين﴾ :

أعدت : هيئت وجهزت .

تهديد ووعيد :

المعنى : إن لم تستطيعوا أن تأتوا بمثله ، والحق أنكم لن تستطيعوا
لأنه كلام الله وهيئات أن يستطيع البشر أن يأتوا بمثل
كلام الله ، فإذا كان كذلك فآمنوا به وصدقوا بنزوله حتى
تستطيعوا أن تنقذوا أنفسكم من عذاب جهنم التي
أعدت للكافرين حيث توقد نارها بهؤلاء العصاة
الكفرة ، وبنوع من الحجارة شديد الالتهاب .

المنافشة

(١) بماذا أمر الله عباده في الآية الأولى؟

(٢) نحن نعبد الله لأنه :

(٣) أكمل هذا الحديث :

«يارسول الله أى الذنب أعظم؟

(٤) من نعم الله علينا :

(٥) تحدى القرآن الكريم العرب والناس جميعا على ثلاث

مراحل :

- تحداهم في المرة الأولى أن يأتوا

- وفي الثانية أن يأتوا ...

- وفي الثالثة أن يأتوا ..

(٦) عجز الناس أن يأتوا بمثل أقصر سورة من القرآن :

- فثبت أن

- وثبت أن

(٧) القرآن الكريم معجزة خالدة لأن الإسلام دين

« إن الدين عند الله الإسلام »

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ
اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيَّتِهِمْ وَمَنْ
يَكْفُرْ يَأْتِ
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ فَإِنْ حَاجُّكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
ءَاسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٢﴾

« إن الدين عند الله الإسلام »

إن الدين الذى ارتضاه الله لعباده هو أن يسلموا له ، وأن يخضعوا له ، وأن ينقادوا لشرائعه وأوامره .

﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ (١) :

وهذا الدين الذى هو الإسلام هو ما أنزله الله على جميع رسله من لدن نوح - عليه السلام - إلى محمد ﷺ والناس هم الذين غيروا وبدلوا فسموا دين الله يهودية أو نصرانية أو غير ذلك .

والله تبارك وتعالى لن يقبل من عباده إلا هذا الدين الذى أنزله إليهم ، والذى جاءت به رسله إليهم ، حتى ختموا برسالة محمد ﷺ فمن آمن ببعض الرسل ولم يؤمن ببعضهم فلن يقبل منه ذلك ، إذ الإسلام هو دين الرسل جميعا ، يقول الله تعالى :

﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ان الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا﴾ (٣) .

فالإسلام إذن قد انحصر اليوم فى رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه لأن الله بعثه مصدقا لمن سبقه من الرسل وبعثه رسولا إلى الناس كافة بعد أن كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة .

(١) سورة لقمان / ٢٢ .

(٢) سورة البقرة / ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء / ١٥٠-١٥١ .

قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (١).

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣).

وقال : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٤).

وقد أكد هذه الحقيقة ووضحها رسول الله ﷺ فيما روى عنه بطرق متعددة تشبه في مجموعها التواتر المعنوي، فقد قال صلوات الله عليه :

«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» (٥).

وقال صلوات الله وسلامه عليه :

«كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة» (٦).

(١) سورة الأعراف / ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء / ١٠٧.

(٣) سورة سبأ / ٢٨.

(٤) سورة الفرقان / ١.

(٥) رواه مسلم.

(٦) متفق عليه.

إذن فالدين الذى ينجوبه صاحبه دين واحد هو الإسلام ،
والإسلام الذى ينجوبه الإنسان هو الدين الذى جاء به محمد عليه
الصلاة والسلام .

والدين الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام هو دين
التوحيد لله :

«شهد الله أنه لا إله إلا هو» (١) .

ودين الشريعة التى تضمنها كتاب الله وسنة رسول الله فمن
عمل بها فقد عمل بالإسلام ، ومن انحرف عنها فقد انحرف عن
الإسلام . . .

يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم﴾ .

أوتوا الكتاب :اليهود والنصارى .

بغيا بينهم : ظلما وعدوانا وحسدا وليس بسبب خفاء الحق .

يقول الله تعالى : إن اليهود والنصارى لم يختلفوا ويتنازعوا
بسبب خفاء الحق عليهم ، وعدم وضوحه عندهم ، بل انهم اشتد
خلافهم بعد أن جاءهم الحق بسبب طغيانهم وحبهم للرياسة
وحسد بعضهم بعضا فاختلفوا شيعا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا
ويلعن بعضهم بعضا .

والله يحذر المؤمنين أن يقعوا في مثل ما وقع فيه هؤلاء ،
فنحن والحمد لله عندنا كتاب الله لم يبدل ، وعندنا سنة رسول الله لم
تتحرف .

والخلاف طلبا للحق لاشيء فيه ، كالخلاف حول الأحكام
الفقهية ، فإنه من باب الاجتهاد ، ومن اجتهد فأصاب فله اجران ،
ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .

ولكن هذه الخلافات لا يصح أن تفرق الأمة أو تمزق جماعة
المسلمين ، فهذا يتعصب لمذهبه ، وذلك يقاتل من أجل مذهبه ،
هذا ما يرفضه الإسلام ، وإلا أصبحنا مثل أهل الكتاب .

﴿من يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب﴾ :

ومن يرفض الإيمان بتلك الآيات التي انزلها الله موضحة أن
الدين عند الله الإسلام ، ودالة على صحة نبوة محمد عليه الصلاة
والسلام فان الله تعالى قد أعد له سوء الحساب وسوء العذاب .
حاجوك : جادلوك معاندين مكذبين .

يقول الله تعالى لرسوله ولكل مؤمن به : فان
جادلك هؤلاء المعاندون في قضية التوحيد رافضين
لها فأعلن بكل قوة موقفك وهو :

أسلمت وجهي لله ، وأخلصت لله ظاهرا وباطنا ،
أسلمت نفسي لله ، وكذلك كل من اتبعني وسار
على طريقي ، إننا جميعا أسلمنا لله وحده لا شريك
له :

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب

العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أول المسلمين ﴿١﴾ .

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد﴾ .
الأمينون : الذين لا كتاب لهم .

تولوا : أعرضوا ولم يؤمنوا .

عليك البلاغ : عليك أن تبلغ الناس برسالة الله .

المعنى : يطلب الله تعالى من رسوله صلوات الله عليه أن يدعو الناس جميعا - سواء منهم من كان له كتاب منزل أم لم يكن - إلى الإسلام بمعناه السلام، وهو التوحيد لله، والعبادة له، والخضوع والانقياد لأوامره، فإن ما عليه الناس ليس بإسلام بعد أن أشركوا بالله، وانحرفوا عن تعاليمه حتى أعلنوا أنهم يؤمنون بوجود الله، فلا قيمة لهذا الإيمان وهم مشركون به .

﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، فأنى يؤفكون﴾ ﴿٢﴾ .

فإن أجابوا للإسلام بهذا الفهم فقد اهتدوا إلى الدين الصحيح والطريق المستقيم .

وإن أعرضوا وتمسكوا بفهمهم الخاطيء فأمرهم إلى الله، وما عليك أنت إلا البلاغ، وقد فعلت، وأما

(١) سورة الأنعام / ١٦٢ .

(٢) سورة الرحرف / ٧٨ .

هؤلاء المعاندون فقد لزمتهم الحجة ، وحقت عليهم
كلمة العذاب والله أعلم بهم وبصير بأحوالهم ،
وقدير على مجازاتهم .

المناقشة

(۱) «الإسلام هو دين الله الذي أنزله على رسله» .
 اشرح هذه العبارة موضحاً أن كل الرسل اتفقوا على
 دين واحد؟ .

(٢) الإسلام يعنى الله و..... بكل رسله،
ومن آمن ببعض الرسل فليس
أكمل العبارة السابقة .

(۳) أهل الكتاب هم... و... هؤلاء جميعا ليسوا مسلمين حتى... بمحمد ﷺ.

(٤) اختلف أهل الكتاب بسبب بحثهم عن الحق

“ “ “ “ “ حبه للعلم .

“ ” “ ” حسداً وبغيا .

ضع علامة (صح) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (خطأ) أمام العبارة الخاطئة .

(٥) ضع الكلمات الآتية في المكان المناسب لها :

جميع رسله - الناس جميعا - البلاغ - اهدوا .

المسلم مطالب اليوم أن يدعو ... إلى الإسلام
بمعناه الصحيح وهو الإيمان بالله و... فإن أجابوا
فقد ... وإن أعرضوا فما عليه إلا ...

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا
فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ ءِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

وحدة المسلمين ودعوتهم إلى الخير

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ :

يعتصم بالله : يتمسك بدين الله .

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ :

ذكر علماء أسباب النزول عن ابن اسحاق وأبي الشيخ عن زيد بن اسلم قال : مر شاس بن قيس وكان يهوديا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاضبه ما رأى من تألفهم بعد العداوة ، فأمر شابا معه من اليهود أن يجلس بينهم فيذكرهم بيوم بعث ففعل ، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان أوس بن قيس من الأوس ، وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فوعظهم وأصلح بينهم فسمعوا وأطاعوا فأنزل الله فيهم : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب﴾

وفي رواية أخرى : فجاء رسول الله ﷺ وأصحابه فقال :

«أتدعون إلى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله تعالى بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألف بينكم ، فعلموا أنها نزغة من الشيطان» ، فألقوا السلاح واستغفروا ، وعانق بعضهم بعضا .

وقال الواحدى : اصطفوا للقتال فنزلت الآيات إلى قوله تعالى ﴿لعلكم تهتدون﴾ فجاء النبى ﷺ حتى وقف بين الصفيين ، فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله انصتوا إليه ، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون .

هذا بعض ما ذكره التاريخ من أسباب نزول هذه الآيات الكريمة ، ومنه نتبين أن طاعة المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى هى سرفرتهم وبداية ضياعهم وأن أهل الكتاب لا يضمرون للمسلمين إلا الضر والأذى .

﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ (١) .

﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾ (٢) .

وهنا يقول الله تبارك وتعالى لنا :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ .

وقد تبين هذا بوضوح فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، فهذه المحاولات الواضحة والخفية التى تقوم بها الارساليات التبشيرية أو التنصيرية ليست إلا صورة من صور هذا المكر الخبيث لردة المسلمين عن دينهم كما تشير هذه الآية .

والله تبارك وتعالى ينادى المؤمنين بقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ، ولم يقل يا أيها الناس أو يا بنى آدم كى نعلم أن مقتضى الإيمان والإسلام ألا نستمع لأهل الكتاب ، ولا نطيعهم فى أمور

(١) سورة البقرة / ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران / ٦٩ .

ديننا ودينانا، فإن طاعتهم ضلال، واتباعهم هلاك وعودة إلى الكفر بعد أن انقذنا الله منه .

إن الإسلام أعطى للدين صورته الصحيحة الكاملة بعد أن ختم الله به الرسالات، وأعطاه الشمول والكمال :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١).

فلماذا إذن يستمع المسلم لأهل الكتاب أولغيرهم وعنده منهج الحياة الكامل أنزله الله إليه .

وماذا عند أهل الكتاب حتى يعطوه للمسلم، وليس عندهم إلا الضلال بعد أن بدلوا وحرفوا رسالات الله وكتبه .

يقول ابن مسعود - رضى الله عنه :

«لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا»^(٢).

يقول ابن عباس :

«كيف تسألون أهل الكتاب، وكتاب الله أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث، تقرأونه محضاً لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم»^(٣).

بل إن رسول الله ﷺ ليعلن : «لو كان موسى وعيسى حين ما وسعهما إلا اتباعي»^(٤).

(١) سورة المائدة / ٣.

(٢) رواه ابن جرير الطبري.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى بالفاظ مختلفة

ويقول صاحب الظلال :

«ان طاعة أهل الكتاب والتلقى عنهم واقتباس مناهجهم تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذى من أجله أنشئت الأمة الإسلامية، كما تحمل معنى الشك فى كفاية منهج الله لقيادة الحياة، وهذا بذاته ديبب الكفر فى النفس، وهى لا تشعر به ولا ترى خطره القريب» .

وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله : استفهام تعجب وانكار، أى كيف يحدث من مسلم أن يطيع أهل الكتاب فيكفر بطاعتهم وهو يتلو كتاب الله ويجد فيه آياته البينات وحججه الواضحة التى ترسم للمسلم طريقه المستقيم الواضح .

وكيف يحدث من المسلم أن يستمع إلى أهل الكتاب ليضلوه ويردوه عن دينه ، وهو يستمع إلى رسول الله ﷺ يزكيه بنور الله ، ويربيه بوحي الله ، ويهديه بما جاء به من سنة كريمة وهداية راشدة .

ولئن كان رسول الله ﷺ قد مضى إلى ربه فقد ترك فينا ما إن - تمسكنا به لن نضل أبدا كتاب الله وسنة نبيه .

﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾ (١) .

وسنة رسول الله اجتهدت الأمة قرونا متوالية على صيانتها وحفظها، وتخليصها من كل دخيل ، وقد جمعت كتب السنة ما صح من حديث رسول الله ﷺ .

(١) سورة الحجر / ٩ .

فنحن اليوم وإلى يوم القيامة نعيش وتلى علينا آيات الله ،
ونتهدى بسنة نبيه .

﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ .

هذا هو دين الله الحق شرحه الله تعالى لنا في كتابه المحكم ،
وفي سنة نبيه الكريم ، ومن يتمسك بهذا الدين كما شرحه الله لنا
وكما وضعه رسوله فقد سار في الطريق المستقيم .

﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى
الله تصير الأمور﴾ (١) .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون﴾ :

حق تقاته : حق تقواه وهو بذل غاية الجهد في التزام الطاعة
والبعد عن المعصية .

ينادي الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أمرا لهم أن
يلزموا تقواه ، وأن يبذلوا جهدهم في هذه التقوى فلا
يراهم حيث نهاهم ، ولا يفقدتهم حيث أمرهم ،
وهذا يتقون الله حق تقواه ، فقد روى عن ابن
مسعود - رضي الله عنه - أنه فسر (حق تقاته)
فقال : «أن يطاع الله فلا يعصى ، وأن يذكر فلا
ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر» (٢) .

﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ :

أي داوموا على التمسك بالإسلام في جميع مراحل

(١) سورة الشورى / ٥٣ .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه وابن أبي حاتم وروى أيضا مرفوعا .

حياتكم، بحيث إذا أدرككم الموت في أى لحظة من لحظات الحياة وجدكم مسلمين لربكم طائعين له، وبذلك تختم حياتكم في الدنيا خير خاتمة، وبذلك تلقون ربكم لقاء الأخيار والأبرار.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ :

حبل الله : هو الإسلام وهو القرآن وهو الدين كله .

ولا تفرقوا : ولا تختلفوا على الدين فتضيع وحدتكم .

بعد أن أمر الله عباده المؤمنين بالتزام ما شرع لهم وما جاء به دينهم بقوله تعالى : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ - أمرهم أن يتمسكوا بدينهم - وأن يعيشوا في وحدة وألفة بعيدا عن الخلاف والفرقة، فإذا كان أساس هذا الدين هو تقوى الله، فإن حماية هذه الأمة في وحدتها وتماسكها وألفتها .

يقول رسول الله ﷺ :

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» .

ويقول صلوات الله عليه :

«المسلم للمسلم كالبنیان يشد بعضه بعضا» .

وفي حجة الوداع حذر رسول الله هذه الأمة من الفرقة والخلاف، يقول :

«ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد» .

وهكذا يقيم الإسلام هذه الأمة على أساس وحدة العقيدة التي تذوب تحت حرارتها كل أسباب الخلاف والفرقة، فقد عرفت الجاهلية كيف تشعل في حياة البشر نيران الصراعات والانقسامات باسم القبلية أو الإقليمية أو العنصرية، ولكن الإسلام رفض كل هذه النعرات الباطلة، وأعلن رسول الله ﷺ ذلك بقوله :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ^(١) الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظَّمَهَا بِأَبَائِهَا^(٢).

وقوله :

«المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى»^(٣).

وقوله :

«ليس منا من دعا إلى عصبية» .

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ .

فألَّفَ بين قلوبكم : فجمع بينكم بالمحبة في الإسلام .

تشير الآية الكريمة إلى ما كان بين الأوس والخزرج في الجاهلية من عدااء وخصومة، فلما جاء الإسلام أنقذهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإيمان، ومن عداوة القبلية إلى الألفة والمحبة في ظلال الإسلام، فكان هذا الدين نعمة لكل من اعتنقه، وكان هذا الدين هو الطريق إلى تحقيق الأخوة الجامعة .

(١) العُبيَّة والكُبر .

(٢) رواه ابن أبي حاتم .

(٣) رواه الطبري .

﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ .

﴿إنما المؤمنون اخوة﴾^(١) .

«المسلم أخو المسلم»^(٢) .

وقد كانت حياة الفرقة وحياة الخصومة هي طريقهم إلى النار، فأنقذهم الله بالإيمان والاخوة من هذا المصير المهلك .
وأنظر كيف صور القرآن الكريم حياة الجاهلية وما فيها من صراعات وخصومات بقوله :

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار﴾ .

وأنظر ماذا صنع الإسلام بهم في ظلال الألفة والمحبة :
﴿فأنقذكم منها﴾ .

وهكذا يصنع الإسلام في كل حين، فالناس عندما يعودون إلى حياة الجاهلية بالفرقة والخصومة والخلافات يصبحون على شفا حفرة من النار، ويسIRON نحو الهلاك والدمار فلا ينقذهم إلا العودة إلى الإسلام .

﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ .

أى مثل ذلك البيان الواضح الذى قدمته هذه الآيات من أن اصلاحكم بتقوى الله، ونجاتكم بالوحدة وعدم الشقاق والخلاف، مثل ذلك البيان يبين الله لكم شرائع دينه حتى تهتدوا إلى الحق وتثبتوا عليه .

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

(١) سورة الحجرات / ١٠ .

(٢) متفق عليه .

الخير : هو الإسلام أو القرآن أو كل ما نفع الناس في دينهم .

المعروف : ما أقره الشرع وتعارف المؤمنون على صلاحه .

المنكر : ما أنكره الشرع وتعارف المؤمنون على فساده .

والله تبارك وتعالى يعطينا في هذه الآية الكريمة القاعدة الثالثة لصلاح المجتمع المسلم وهي :

«الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» .

فإذا كانت القاعدة الأولى في حياة الأمة هي تقوى الله والتزام شريعته . . .

والقاعدة الثانية : وحدة الأمة وبعدها عن الشقاق والنزاع . . .

فان القاعدة الثالثة لسلامتها واستمرار صلاحها هي الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والدعوة إلى الخير هي حق كل مسلم ، فكل مسلم مسئول عن هذا الدين على قدر ما منحه الله من الفهم له والعمل من أجله «فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (١) .

والإسلام عندما اسقط نظام رجال الدين الذين يعتبرون أنفسهم دون غيرهم القائمين على شئون الدين ، جعل من كل مسلم رجل دين يدعو إليه ، ويقوم بحمايته والدفاع عنه ، ومن أهم وسائله في ذلك «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» .

(١) متفق عليه .

وهي أيضا حق كل مسلم ومسلمة ، يجهر بها المسلم في كل موقف يرى أن من حق دينه عليه أن يرفع صوته بها ، يقول رسول الله ﷺ :

«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيـان» (١) .

وفي رواية أخرى :

«وليس وراء ذلك من الإيـان حبة خردل» (٢) .

بل ان رسول الله ﷺ يؤكد أن ضياع الأمة وخسراتها في تعطيل هذه الفريضة ، إذ يقول :

«والذى نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» (٣) .

وكما أن ضياع الأمة في تعطيل هذه الفريضة فإن نجاحها واستمرار تقدمها في التمسك بهذه الفريضة والعمل بها ، يقول الله تعالى :

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ .

أي أن الداعين إلى الخير والأميرين بالمعروف والناهيـن عن المنكر هم الناجون المفلحون في الدنيا والآخرة .

﴿ولا تكوننوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ :

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذى .

الذين تفرقوا: اليهود والنصارى .

البنات : الحجج الواضحة، والآيات الظاهرة .

بعد أن وضحت الآيات السابقة قواعد سلامة المجتمع المسلم الثلاث :

١ - تقوى بالتزام شرعه .

٢ - وحدة الأمة وتمسكها بدينها .

٣ - دعوتها إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

بعد أن وضحت ذلك جاء التحذير هنا من الفرقة والخلاف بضرب المثل بما حدث للأمم السابقة عندما اختلفت حول مذاهب باطلة يدور الخلاف فيها حول العقيدة، فهؤلاء هم النصارى وقد تعددت مذاهبهم بين من يؤله المسيح ويؤله أمه، ومن يؤله المسيح دون أمه، ومن يرى المسيح مكونا من الوهية وإنسانية، ومن يراه انسانا فقط، وهكذا اضطربت عقائدهم فاختلفت مذاهبهم فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل . وقد كانت هذه الاختلافات بعد وضوح الحق من الله، ونزوله على رسله، فكان مصيرهم الضياع في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة .

والله يقدم لنا هذا المثل من الأمم السابقة محذرا لنا ان نقع في مثل ما وقعوا فيه فنضل الطريق وتذهب ريحنا .
﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (١) .

(١) سورة الأنفال .

وواضح أن النهي إنما ينصب على الخلاف والفرقة في العقيدة، وأما الخلاف حول فروع الشريعة بقصد توضيح أحكامها فلا شيء فيه، بل فيه ثواب وأجر مادام يستند إلى أصول سليمة في الاجتهاد، ومادام لا يتحول إلى عصبية وفرق، كل فرقة تنتصر لرأيها، وتفرق جماعة المسلمين، هذا يقول أنا شافعي، وذلك يقول أنا حنفي، وآخر يقول أنا مالكي أو حنبلي، يريد كل منهم أن يقول: إن الإسلام هو مذهبي، والآخرون على ضلال مبين. وهذا ما يرفضه الإسلام، ويراه ضياعاً لهذه الأمة، فهذه الأمة لا تجتمع حول مذهب، وإنما تجتمع حول العقيدة.

﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

والإسلام لا يقوم على مذهب، فقد كان الإسلام كاملاً قبل هذه المذاهب، وسلفنا الصالح الذين قعدوا قواعد هذه المذاهب يرفضون أن يختلف الناس بسبب مذاهبهم ولو دار بفكرهم هذا ما أتعبوا أنفسهم، ولا أقاموا مذاهبهم، وهم رحمهم الله إنما أرادوا مساعدة الناس في فهم دينهم، والسير على كتاب ربهم وسنة نبيهم.

المنافشة

١ - تحدث عن أثر طاعة المسلم لأهل الكتاب كما فهمت من قوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب...﴾

٢ - ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب...﴾

ماذا تعرف عن سبب نزول هذه الآية ، وماذا نستفيد نحن من ذلك في عصرنا الحاضر.

٣ - ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...﴾

- كيف تكون التقوى حق التقاة؟

- وما المراد بقوله : ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون؟

٤ - تحدثت الآيات السابقة عن قواعد ثلاث لسلامة المجتمع المسلم هي :

-
-
-

٥ - نهت الآيات عن الفرقة والخلاف ، فما الخلاف الذي يحطم الأمة ، وما الخلاف الذي لا شرف فيه؟

٦ - صورت الآيات أثر الوحدة والمحبة ، وأثر الخلاف والشقاق ، وضح الصورة التي رسمتها؟

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
 عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
 اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَهْطَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ
 وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ
 الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ
 وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ
 إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ
 اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا
 يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

المسيح عبد الله ورسوله

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيرا لكم، إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد، له ما في السموات وما في الأرض، وكفى بالله وكيلًا﴾ :
يا أهل الكتاب : المراد النصارى .

لا تغلوا في دينكم : لا تجاوزوا الحد في فهم الدين وعقائده، وذلك برفع درجة المسيح عن البشرية إلى الألوهية .

ينادى الله تبارك وتعالى أهل الكتاب من المسيحيين أن يلتزموا الفهم السليم والدين الصحيح، فلا يخلطوا بين ما لله من تعظيم وتنزيه والوهية، وبين ما للمسيح من بشرية كريمة ورسالة من ربه وعبودية لله، فالله إله واحد أحد، والمسيح رسول بشر عبد، هذا هو القول الحق في الله وفي المسيح، وهذا ما أنزله الله على رسله كلهم اعلنوا كلمة التوحيد، وأن الله وحده إله هذا الكون .
يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى - لا إله إلا الله -» .

فيا أهل الكتاب لا تقولوا على الله إلا الحق :
فلا تنسبوا إليه الصاحبة والولد .

﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة﴾ (١).

ولا تجعلوا معه الها آخر .

﴿ولا تدع مع الله الها آخر، لا إله إلا هو، كل شىء هالك إلا وجهه﴾ (٢).

﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ (٣).

ولا ترفعوا رجال دينكم إلى مرتبة الألوهية فهم بشر يأكلون ويشربون :

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا﴾ (٤).

﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ ويا أهل الكتاب لا ترفعوا المسيح فوق قدره، ولا تنزلوه منزلة الألوهية فذلك كفر وإشراك :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾ (٥).

والمسيح بشر وإنسان ، عاش كما عاش الناس ، يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون .

(١) سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(٢) سورة القصص الآية ٨٨ .

(٣) سورة المائدة الآية ٧٣ .

(٤) سورة التوبة / ٣١ .

(٥) سورة المائدة / ٧٢ .

﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾^(١)

وعبارة كانا يأكلان الطعام تعبير قرآني جميل، وكناية لطيفة
عما في البشرية من نقص، وما يترتب على أكل الطعام من
الفضلات التي يتزدهر عنها الإله الكامل في صفاته..

وعيسى عليه السلام عبد فكيف يكون العبد إلهًا، بل شرفه
في هذه العبودية لله :

﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى
اسرائيل﴾^(٢)

وعيسى عليه السلام رسول الله كسائر رسله، وقد أعلن
ذلك عيسى منذ ولادته :

﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾^(٣)
وعيسى كلمة الله، بها ظهر للوجود، كما ظهر آدم للوجود
بها :

﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون﴾^(٤).

وكلمة الله النافذة هي قوله لأي شيء يريد (كن) .

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾^(٥)

(١) سورة المائدة / ٧٩.

(٢) سورة الزخرف / ٥٩.

(٣) سورة مريم / ٣٠.

(٤) سورة آل عمران / ٥٩.

(٥) سورة النحل / ٤٠.

وعيسى ليس الكلمة وإنما خلق بالكلمة، كما خلق كل شيء بها، وكما أوضح الله ذلك في الآية السابقة لا كما تزعم النصارى أنه نفس الكلمة .

وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة عندما تعجبت مريم من أن تحمل في بطنها جنينا دون أن تلتقى بإنسان :

﴿قالت ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر، قال كذلك . الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾^(١).

فعيسى إذن خلق بالكلمة التى ألقاها الله إلى مريم فكان بها عيسى ، كما كان بها من قبل آدم ، كما كان بها كل الكون .

﴿كن فيكون﴾

وعيسى عليه السلام روح منه ، فهو بنفخة من روح الله خلق .

﴿والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾^(٢).

﴿ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾^(٣).

وهو بهذا ليس بدعا من الخلق فقد خلق من قبله آدم بهذه النفخة .

﴿وإذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾^(٤).

(٢) سورة التحريم ١٢ .

(٤) سورة ص ٧١-٧٢ .

(١) سورة آل عمران ٤٧ .

(٢) سورة الأنبياء ٩١ .

فعيسى نفخة من روح الله، كما كان آدم نفخة من روح الله .
﴿فآمنوا بالله ورسله﴾ .

أى إذا كان عيسى بشرا رسولا وعبدا نبيا فهو رسول كسائر
الرسل، والله وحده هو إله السموات والأرض، فآمنوا بالله الها
واحدا، وآمنوا بكل رسله بما فيهم عيسى ومحمد عليهما الصلاة
السلام .

﴿ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيرا لكم﴾ :

لا تفتروا على الله الكذب فتزعموا أن الله ثالث ثلاثة
(الأب - الابن - والروح القدس) ثم تجدون الأدلة واضحة في
اثبات التوحيد، فتحارون في التوفيق، وتدخلون في الغموض
والمعميات، عندما تقولون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، فكيف
يكون الأب ابنا، وكيف يكون الابن أبا، وكيف يكون الأب
والابن الروح القدس؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

﴿انتهوا خيرا لكم﴾، وقولوا مع جماعة المؤمنين :

«انما الله إله واحد» . . «واحد أحد، فرد صمد، لم يلد، ولم
يولد، ولم يكن له كفوا أحد» .

هذه هي الحقيقة الكبرى في التوحيد، وليس هناك حقيقة
أكبر منها ﴿ذلك بأن الله هو الحق، وانما يدعون من دونه هو
الباطل﴾ (١) .

فالله منزّه عن التعدد والكثرة :

﴿ولا تجعلوا مع الله إلها آخر، انى لكم منه نذير مبين﴾ (٢) .

(١) سورة الحج / ٦٢ .

(٢) سورة الذاريات / ٥١ .

والله منزّه عن الوالد والولد :

سبحانه تنزه أن يكون له ولد

﴿وسبحانه أن يكون له ولد، له ما فى السموات وما فى

الأرض﴾ :

وكفى بالله وكيلا : أى هو يملك كل المخلوقات فكيف

يكون له منها شريك، وكل الكائنات مخلوقة، فكيف يصبح
المخلوق إلهًا خالقًا؟ .

وكل المخلوقات يصير أمرها إليه، فهو راعيها، وهو ربها
المنعم عليها، وهو سيدها والآخذ بناصيتها ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ .

فكيف يتخذ منها الولد والصاحبة، وهو غنى عنها، وهى

المحتاجة إليه :

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة

المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه

جميعاً، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفىهم أجورهم

ويزيدهم من فضله، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فיעذبهم

عذاباً أليماً، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ .

يستنكف : يتكبر ويأنف ويرتفع .

يوفىهم أجورهم : يعطيهم ثواب أعمالهم وافياً كاملاً .

لقد رفع النصارى شخصية عيسى عليه السلام فأدخلوه فى

مجال الألوهية، وأعطوه صفات الإله، وضل مشركو العرب فرفعوا

الآلهة عن مستوى العبودية وجعلوا الملائكة بنات الله فرد عليهم أن

عيسى الذى اتخذوه إلهًا لن يرتفع عن مستوى العبودية، فهو عبد

الله ، بل كل الرسل جميعا من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام عباد الله ، وكل الانس والجن عباد الله .

﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ (١).

﴿ان كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا﴾ (٢).

والملائكة المقربون عباد أيضا لله ، لن يخرجوا عن دائرة العبودية ولن يترفعوا عنها ، بل يرونها تكريما لهم وتشريفا :

﴿وقالوا أتأخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (٣).

هذه هي القاعدة التي توضح الصلة بين الله ومخلوقاته ، الله وحده هو الإله المتفرد في ذاته ، المتفرد في صفاته ، المتفرد في أفعاله ، الغنى عن كل ما سواه ، المحتاج إليه كل من سواه .

﴿قل من رب السموات والأرض قل الله ، قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾ (٤).

ومن يخرج عن هذه القاعدة فيرى لنفسه صفة من صفات الله ولا يرى نفسه عبدا خاضعا لله فهذا مصيره إيا كان شخصه :
﴿ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ .

(١) سورة الذاريات / ٥٦ .

(٢) سورة مريم / ٩٣ .

﴿ومن يقل منهم انى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ،
كذلك نجزي الظالمين﴾ (١).

هذا هو المصير ، جميع الخلق راجعون إلى ربهم ، وهناك
يرون جزاءهم وحسابهم .

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم
ويزيدهم من فضله﴾ .

والإيمان هنا منشؤه العقيدة الصحيحة التى ترى الله وحده
فوق الخلق جميعا ، وترى المخلوقات جميعا صنعة الله وعباده ،
والذين تستقر فى نفوسهم هذه العقيدة ، ويعملون الخير من
خلالها ، فسيجدون عند الله حسن الجزاء فى جنة عرضها السموات
والأرض ، وسيجدون فوق ذلك الزيادة من رضوان الله ،
ومشاهدته ومن شفاعته رسول الله وصحبته .

وأما الذين يتكبرون عن هذه العقيدة فيحرفون فى فهمها ،
أو يخرجون عليها ، فمصيرهم ما تحدثت عنه الآية :

﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فיעذبهم عذابا أليما ، ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ .

هذا هو مصيرهم وهو سوء العذاب فى الآخرة ، ولن يجدوا
من ينقذهم من عذاب الله ، فليس هناك معين ولا ناصر .



(١) سورة الأنبياء ٣٦ - ٣٧ .

المنافشة

- ١ - ما المراد بأهل الكتاب عموماً، وماذا يراد بهم هنا؟
- ٢ - الغلو في الدين محرم في العقيدة والشريعة فكيف يكون الغلو في العقيدة؟ .
- وهل تجد لذلك مثلاً في حياة المسلمين اليوم؟ مثل :
- ٣ - غلت النصارى في عيسى فماذا قالت؟
- ٤ - لم نتعود من القرآن ان ينسب الأنبياء إلى آبائهم أو أمهاتهم ، ولكننا تعودنا منه ان ينسب عيسى إلى أمه ، فهل تجد لذلك سبباً؟ اشرح ذلك؟
- ٥ - رد الله على النصارى اعتقاداتهم الزائفة في عيسى موضحاً أنه :
 - (١) ابن ..
 - (٢) و الله .
 - (٣) و ألقاها إلى مريم .
 - (٤) و منه .
- ٦ - عيسى خلق بالكلمة - اشرح هذه العبارة؟
- ٧ - يقول ابن يحيى : ليس الكلمة صارت عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى . . .
فماذا يعنى بهذه العبارة؟ . . .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيَقُولُوا نَحْنُ نُبْعِثُ بَعْضُ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

الكفر والإيمان

يريدون أن يتخذوا بين ذلك سيلا: يريدون أن يجعلوا لهم طريقا ومذهبا بين الكفر والإيمان.

أعدنا للكافرين عذابا مهينا: أعدنا لهم عذابا فيه أهانتهم ومذلتهم.

عرف الناس على مدى التاريخ نماذج من الكفر يختلف بعضها عن بعض، ولكنها تلتقى جميعا تحت عنوان الكفر والعصيان:

أ - فهناك من لا يؤمن بإله ولا برسول كهؤلاء الملحدون الذين تشاهد نماذج منهم في عصرنا الحديث يجعلون الإنسان سيد نفسه ليس وراءه سلطة تسيطر عليه أو تهديه أو تحاسبه.

ب - وهناك من يؤمن بالله ولا يؤمن برسالة ولا نبوة ويرى أن الله خلق الكون وأوجده، ولكن لا يمكن أن تكون هناك نبوة أو رسالة خضوعا لفلسفات فكرية أو نظريات خاطئة.

ج - وهناك من يؤمن بالله ويؤمن برسالة دون رسالة ونبوة دون نبوة كما يفعل اليهود والنصارى، فاليهود يؤمنون بموسى ولا يؤمنون بعيسى أو محمد عليهم الصلاة والسلام، والنصارى يؤمنون بعيسى ولا يؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء جميعا تتحدث عنهم الآية الأولى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُونَ نُوْمَنُ بِيَعُضٍ وَنَكْفُرُ بِيَعُضٍ، وَيُرِيدُونَ أَنْ

يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا
للكافرين عذابا مهينا ﴿١﴾ .

أ - فالذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون برسالاته جميعا
كافرون سواء كانوا أيام نزول القرآن الكريم ، أو كانوا في هذه
الأيام يعيشون تحت راية المذنيات الحديثة وأفكارها المادية التي
تجعل الانسان لا يؤمن إلا بالمحسوسات والشهوات فلا يختلفون في
شيء عن الحيوانات التي تعيش لحاجات بطنها .

﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار
مثوى لهم﴾ (١) .

إن أول صفة تميز الإنسان عن الحيوان ، وتميز المؤمن عن
الكافر هي إيمانه بالغيب ، إيمانه بما وراء المادة ، إيمانه بأن القوة التي
لا يراها بحسه هي قوة اسمى وأعظم ، فإذا فقد الإيمان بالغيب
عاش حياته كما تعيش الأنعام ، وكان في آخرته وقود نار جهنم .

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا
يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون
بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ (٢) .

ب - وهؤلاء الذين يؤمنون إيمانا عقليا فلسفيا ويعتزون
بفلسفاتهم ونظرياتهم التي هدتهم إلى الإيمان بالله ، ولكنهم توقفوا
عند الإيمان بالله ، ولم يؤمنوا برسالاته هم أيضا كافرون ، لأن
العقل قد يهتدى إلى بعض الحقائق ، ولكنه عاجز في مجالات

(١) سورة محمد / ١٢ .

(٢) سورة الأعراف / ١٧٩ .

الغيب لا يستطيع أن يسير فيها والإيمان بالله يقتضى الإيمان برسله، فإنهم يبلغون عن ربهم، وتكذيبهم تكذيب لربهم.
﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ (١).

وهؤلاء الذين دفعتهم أهواؤهم وعصياتهم وجهالاتهم أن يؤمنوا برسولهم دون غيره لا عن نظر ودليل وإنما بحكم الإلف والعادة أوبدافع التعصب والهوى، فأمنوا بعتسى وكفروا بمحمد، هؤلاء يريدون أن يفرقوا بين رسل الله فيقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، والإيمان كل لا يتجزأ، فالإيمان بالله إيمان به وبكل ما أوحى به، وبكل ما أوحى إليهم، وتكذيب رسول تكذيب لسائر الرسل، إذ أن كل رسول يؤكد رسالة غيره، ويصدق من جاء قبله، فلا يقبل إيمان إلا أن يكون بالله وبجميع رسله:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزل على رسوله، والكتاب الذى أنزل من قبل﴾ (٣).

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعتسى، وما أوتى النبىون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم﴾ (٤).

(١) سورة النساء / ١٣٦.

(٢) سورة البقرة / ٢٨٥.

(٣) سورة النساء / ١٣٦.

(٤) سورة البقرة / ١٣٦.

هؤلاء وأولئك سجل الله عليهم الكفر بقوله :
﴿أولئك هم الكافرون حقا﴾ أى هم الكافرون كفرا ثابتا
محققا مهما ادعوا الإيمان وتظاهروا بقوة التدين ، وأقاموا المعابد
والبيع وانقطعوا للعبادة والتبتل .

وسجل الله تبارك وتعالى سوء مصيرهم بقوله :
﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ .

أى وليس للكافرين من جزاء إلا العذاب الشديد يوم
القيامة ، وهؤلاء قد كفروا كفرا حقيقيا فحق لهم سوء العذاب ،
ومأواهم جهنم وبئس المصير .

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم ،
أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيمًا﴾ .

فالإيمان الحق هو الإيمان بالله إلها واحدا فى ذاته وصفاته ،
والإيمان بكل رسله وبكل أنبيائه الذين أخبرنا برسالتهم ونبوتهم ،
والإيمان بأن الله أنزل إلى عباده كتباً أوحى بها إلى رسله ، فلا
نفرق بين رسول ورسول ، ولا نؤمن برسول دون رسول .

وهذا الإيمان هو إيمان هذه الأمة التى اختارها الله تعالى
ليجعلها تحمل خاتمة رسالاته ، ويجعل رسولها محمداً صلوات الله
وسلامه عليه خاتم أنبيائه ورسله .

فالأنبياء جميعاً حملوا إلى البشر ديناً واحداً هو الدين الذى
اختاره الله لعباده ، وكلهم أعلنوا للناس عقيدة واحدة يقول الله
تعالى : ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ (١) .

(١) سورة فصلت / ٤٣ .

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (١).

هذا هو الدين الحق الذى ينجى صاحبه ويسعده فى الدنيا والآخرة، ولا يقبل الله من عباده غيره، وهؤلاء الذين يؤمنون هذا الإيمان قد وعدهم الله بحسن الجزاء ويسعادة الدنيا والآخرة .
﴿أولئك سوف تُؤتيهم أجورهم، وكان الله غفورا رحيما﴾.

أى هؤلاء المؤمنون سينالون أجرهم فى الدنيا عزا ونصرا...

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ (٢).

وينالون أجرهم فى الآخرة نعيما مقيما فى الجنة ورضوانا من الله أكبر، وكان الله غفورا رحيما .

(١) سورة الشورى / ١٣ .

(٢) سورة الحج / ٤٠ .

المناقشة

١ - أكمل العبارة الآتية بوضع الكلمات المناسبة مكان

النقط :

الإيمان الحق أن تؤمن بـ وجميع كتبه
وجميع لا تفرق بين أحد من

٢ - صحيح - كافر - يقبل إيمانه - فاسد :

الذى يؤمن بالله وحده ولا يؤمن برسله

الذى يؤمن بالله وبجميع رسله إيمانه

الذى يؤمن بمحمد ولا يؤمن بموسى وعيسى لا

الذى يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى دينه

٣ - لقد أنزل الله إلى عباده كتباً هي :

(٢)

(١)

(٤) والقرآن

(٣)

الدين الخالص

سورة الأنعام

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بِنِعْمَةِ رَبِّيَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَآءِ اتَّكُمُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

الدين الخالص

﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة
إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين﴾:

١ - صراط مستقيم : طريق موصل إلى الحق بلا
انحراف .

٢ - قيماً : مستقيماً .

٣ - حنيفاً : مائلاً عن الأديان الباطلة .

يأمر الله تبارك وتعالى أن يعلن ما أنعم الله به عليه من
الهداية إلى أقوم دين ، وأهدى طريق ، وأى هداية أعظم من هداية
الله ؟

﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ (١) .

﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ (٢) .

فالهداية هنا ليست هداية البشر، وإنما هى هداية الله .

﴿هدانى ربى﴾

والذى اهتدى إليه رسول الله ﷺ هو :

صراط مستقيم ، وهو الطريق الواضح الذى يوصل إلى
الحق ، وغيره طرق ملتوية معوجة ، فليس هناك طريق للحق
يوصل إلى العقيدة السليمة والشريعة الصحيحة إلا طريق واحد
هو الصراط المستقيم .

(١) سورة البقرة / ١٢٠ .

(٢) سورة الاسراء / ٩٧ .

﴿صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور﴾^(١)

وهذا الصراط المستقيم هو الدين القيم، الدين الواضح هو الإسلام، هو دين الأنبياء جميعا، والدين الذى دعا إليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام فهو إذن :

﴿ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين﴾ :

فالإسلام هو ملة إبراهيم حنيفا أى مائلا عن كل الأديان الباطلة، يقول صلوات الله عليه وسلامه :

«أصبحنا على ملة الإسلام وكلمة الاخلاص، ودين نبينا محمد، وملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين»^(٢)
والإسلام هو دين الحنيفية السمحة، يقول صلوات الله عليه :

«انى أرسلت بحنيفية سمحة»^(٣).

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولا مشركا وإنما كان موحدا وكان حنيفا مسلما .
يقول الله تعالى :

﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين﴾^(٤)

(١) سورة الشورى / ٥٣ .

(٢) رواه الامام أحمد فى مسنده .

(٣) رواه الامام أحمد فى مسنده .

(٤) سورة آل عمران / ٦٧ .

ولئن كان الله تبارك وتعالى قد أمر نبيه أن يعلن فضل الله بهدأيته إلى أكرم دين ، فاننا - معشر المسلمين - نقتدى برسولنا في هذا لأن هذا الفضل يشملنا ، فقد هدانا إلى ما هدى إليه نبيه ، فنحن نحمد الله على نعمة الإسلام .

ف ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ (١) .

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ﴾ :

محياى : حياى .

نسكى : ذبيحتى التى أذبحها للعبادة فى الحج وغيره .

هكذا المسلم الحق لا يتوجه إلا إلى الله فى كل عباداته وغاياته ، فصلاته لله وحده ، لا يتوجه بها لغيره كأهل الديانات الأخرى ، وذبائحه التى يتقرب بها إلى الله لا تكون إلا لربه ، لا يذبح رياء ولا يذبح لقبر ولا يذبح لصنم ولا يذبح مقدسا الملوك والأولياء ، ذبيحته لله وحده .

وحياته كلها لا تفنى إلا بالعمل الذى يرضى الله ، انها حياة عبادة وحياة جهاد .

إنها حياة لله ، وموت فى سبيل الله ، ليس لغير الله شركة فيها :

﴿ قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ، وأمرت لأن

(١) سورة الأعراف / ٤٣ .

أكون أول المسلمين، قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴿١﴾.

ورسول الله ﷺ أول المسلمين من هذه الأمة، وأول المستجيبين لله الخاضعين لأمره، ونحن جميعا وراءه نلتزم بما أمر به، فإذا كان الله قد أمر نبيه، فنحن مأمورين معه، لأن الله تعالى طالبنا أن نقتدى به .

﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ (٢).

والله تبارك وتعالى جعل طاعته في طاعة رسوله ﷺ :

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٣).

بل جعل محبته في متابعة رسوله صلوات الله عليه :

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (٤).

﴿قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء، ولا تكسب كل نفس إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ :

الرب : المالك المتصرف المربى .

أبغى : أقصد وأريد .

لا تكسب كل نفس إلا عليها : لا تحمل كل نفس إلا ذنوبها .

(١) سورة الرمر ١١، ١٢، ١٣.

(٢) سورة الأحزاب / ٢١.

(٣) سورة النساء / ٨٠.

(٤) سورة آل عمران / ٣١.

ولا تزر وازرة وزر أخرى : لا يتحمل أي شخص ذنوب غيره .
إلى ربكم مرجعكم : المصير إلى الله في نهاية الأمر .
ينبشكم : يخبركم ويعلمكم .

﴿ قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء ﴾ . . استفهام فيه معنى الإنكار والتعجب . إذ كيف اطلب ربا غير الله ، وهو وحده رب هذا الكون كله ، خلقه بقدرته ، وسيره بارادته ، وتولاه بحفظه ورعايته وتربيته ، كيف اشرك بربي أربابا زائفة ، وآلهة باطلة ، وهو وحده الإله الأحد ، الفرد الصمد :

﴿ قل هو ربي لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وإليه متاب ﴾ (١) .

كيف أدعو غيره وهو الذي يعلم جهري وسري ، ومحاسني على ما قدمت يداي ، وقد حكم بعدله ان كل نفس مسئولة عن ذنوبها ، فلا تحمل إلا اثم جنایاتها ، ولا تتحمل آثام غيرها ، ليس في موازينه اختلال فالجريمة مسئولة عنها صاحبها :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٢) .

ليس في موازينه ما يدعيه تجار الأديان ، وسماسرة المناصب الدينية من قدرتهم على غفران الذنوب ، واعطاء صكوك الغفران ، وليس في موازينه أن أحد مخلوقاته يضحى بنفسه ويريق دمه من أجل أن يفدى الإنسانية كلها ، من ذنوبها كما يزعم الدجالون من أهل الديانات الأخرى ، الأمر في مجال الذنب كما سجلته كلماته :

(١) سورة الرعد ٣٠ .

(٢) سورة المدثر ٣٨ .

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ .

وأما في مجال الخير ، فقد ينتفع الانسان بعمل غيره فضلا من الله ورحمة ، يقول صلوات الله عليه :

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» (١) .
ويقول الله تعالى :

﴿كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين﴾ (٢) .

أى أما أصحاب اليمين فقد يتفعلون بغيرهم أما بالشفاعة وأما بغيرها كما قال الله تعالى :

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ (٣) .

والخلائق جميعا مصيرهم إلى ربهم ، فليعمل كل ما شاء فعمله مسجل عليه ، وعمله معروض عليه امام ربه ، وسيجد كل نتيجة عمله ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم﴾ .

خلائف الأرض : أى يخلف بعضكم بعضا في عمارة الأرض .

ليبلوكم : ليعاملكم معاملة من يختبركم فيما أعطاكم .

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة المدثر ٣٨-٣٩ .

(٣) سورة الطور ٢١ .

يخاطب الله عباده جميعاً موضعاً لهم أنه وحده الذى خلقهم
ليعمروا الأرض ، ويعيشوا فيها . يخلف بعضهم بعضاً جيلاً بعد
جيل وأمة بعد أمة ، وأعطاكم من فضله ونعمه ما جعلكم تتعاونون
فى اكتسابه ، فيختلف بعضكم عن بعض فى الأجسام والعقول
والأرزاق والأشكال والألوان .

كل ذلك لا ليعلو بعضكم على بعض أو يتسلط بعضكم
على بعض ، ولكن ليعاملكم معاملة من يختبركم حتى يظهر من
يشكر ، ومن يكفر ، وحتى يتبين العاصى والمطيع ، لتتألوا عنده يوم
القيامة جزاء أعمالكم ، وثمرة حياتكم .

﴿إن ربك سريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم﴾ :

وهو سريع العقاب لمن تمرد وعصى ، وهو غفور رحيم لمن
أطاع وأتقى ، وهذا ترهيب مع ترغيب حتى لا يأمن أخذه عاص
﴿ان أخذه أليم شديد﴾^(١) ولا يقنط من رحمته طائع ﴿ان رحمة الله
قريب من المحسنين﴾ .

والله تبارك وتعالى يعالج عباده بهاتين الصفتين ، فمنهم من
يصلحه الترغيب ، ومنهم من لا يصلحه إلا الانذار والترهيب ،
والله مع هؤلاء وهؤلاء يعالج كلاهما يصلحه .

﴿نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو
العذاب الأليم﴾^(٣) .

(١) سورة هود ١٠٢ .

(٢) سورة الاعراف ٥٦ .

(٣) سورة الحجر ٤٩ - ٥٠ .

المناقشة

١ - في الآية الأولى : قل إننى هدانى . وصف الله تعالى الإسلام بعدة صفات وضح تلك الصفات ؟ .

٢ - وضحت الآية الثانية أسلوب المسلم فى عبادته وعمله ، فكيف تكون تلك العبادة ؟ وكيف يكون عمله ؟ .

٣ - سبق الرسل الكرام رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فكيف يكون أول المسلمين ؟ .

٤ - أكمل العبارة الآتية بوضع الكلمات المناسبة :

كل نفس تتحمل أعمالها .

لا تحمل أى نفس ذنوب

كل الناس راجعون يوم .

مجزيون حيث الله بما كانوا

فيه

٥ - أعمالنا - خلائف - المحسن - الأجسام - المسىء -
الأرزاق - الألوان .

الله جعلنا الأرض لنعمرها بـ . والله

جعلنا متفاوتين فى و و حتى

يختبرنا كي يظهر و

قُلْ

تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
 شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
 إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
 مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
 حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾
 وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
 وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ
 اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
 وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
 فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

الوصايا العشر الإسلامية

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ :
إملاق : فقر وضيق عيش .

الفواحش : الذنوب الكبيرة ولا سيما الزنى .

بطن : اختفى .

هذه الآيات الكريمة من سورة الأنعام قال عنها ابن مسعود - رضى الله عنه : «من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : ﴿قل تعالوا... لعلكم تتقون﴾» (١) .

والمراد بقوله : التي عليها خاتمة أى الآيات المحكمة التي لم تنسخ أحكامها .

ويقول عنها ابن عباس - رضى الله عنهما :

في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ :

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم...﴾ (٢) الآيات .

ويرى بعض علماء التفسير (٣) أن هذه الآيات تضمنت الوصايا العشر التي جاء بها الإسلام لصيانة العقيدة والأسرة والمجتمع .

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه .

(٣) الشيخ شلتوت في كتابه الوصايا العشر .

فالأية الأولى اشتملت على خمس وصايا، والثانية اشتملت على أربع وصايا والثالثة اشتملت على وصية واحدة، وقد ختمت كل آية بقوله تعالى ﴿ذلك وصاكم به﴾ إشعاراً بقيمة تلك الوصايا، وأنها وصايا ربانية تستقيم بها حياة الناس، ويصلح بها أمر الدنيا والآخرة.

﴿قل تعالى أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ : يأمر الله تبارك وتعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يطلب من الناس أن يستمعوا إلى ما حرم الله عليهم، بعد أن وضح لهم في الآيات السابقة أن الأمور التي حرموها من عند أنفسهم لا أصل لها في مجال التحريم، إذ أن أمر التحريم والتحليل ليس من حق الناس ولا من حق رجال الدين، إن الحلال والحرام هما من حقوق الله تبارك وتعالى :

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ (١).

فما حرّمته الجاهلية من الأنعام وغيرها ليس بحرام :
﴿قل الذّكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ (٢).

وإذا كان أمر الحلال والحرام لله وحده فقد أمر الله نبيه أن يطلب من الناس جميعاً أن يستمعوا إليه يتلو عليهم ما حرم ربهم .
وهذه المحرمات كما سنرى بعضها حرم بعينه، وبعضها حرم لازمه وأول هذه المحرمات هي : ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾ ..

(١) سورة النحل ١١٦ .

(٢) سورة الأنعام ١٤٣ .

والشرك بالله هورأس المحرمات ورأس الخطايا، يقول ابن مسعود - رضى الله عنه :

«قلت يارسول الله أى الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك» (١).

وهو الذنب الذى لا يغفر يقول الله تعالى :

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (٢).

وسلامة العقيدة منه، وخلوص الإيمان بالله وحده هو سبيل النجاة، والقاعدة التى يقوم عليها بناء الدين كله فما لم تسلم العقيدة من كل شوائب الشرك لا يسلم العمل كله مهما كان فيه من مظاهر الخير، وإذا سلمت العقيدة من كل شوائب الشرك سلمت الأعمال الصالحة ورشحت صاحبها للشواب العظيم فى جنات النعيم، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«أتانى جبريل فبشرنى أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتك دخل الجنة» (٣).

والله تبارك وتعالى ينهى بقوله : ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾ عن كل مظاهر الشرك، سواء كان شرك الأنداد بأن يجعل لله شريكاً من آلهة أخرى، أو شرك الصفات بأن نعطي لبعض المخلوقات بعض صفات الله كما أعطى عيسى ابن مريم صفة الألوهية، أو شرك الأفعال بأن يعتقد فى بعض المخلوقات قدرتهم أن يفعلوا أفعالا

(١) متفق عليه .

(٢) سورة النساء ٤٨ .

(٣) متفق عليه .

فيستعان بهم في النوازل ويدعون في المصائب، ويرجى عندهم النفع، وهذا ما يعنيه بـ ﴿شيئا﴾ .

والوصية الثانية: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ أى أوصاكم الله تعالى أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا، وحرّم عليكم لازم ذلك وهو عقوق الوالدين والاساءة إليهما بأى صورة ولو صغرت . قال الله تعالى :

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (١) .

وأنت ترى أن الله يقرن بين طاعته وعدم الاشراك به وبين بر الوالدين والإحسان إليهما رفعا لشأنهما، وإشعارا بعظيم منزلتهما، وحثا على إكramهما، وقد كرر القرآن الكريم الحديث عن الوالدين وبرهما سبع مرات ليؤكد هذا السلوك الكريم الذى ينبغى أن يلتزمه كل مسلم مع أبويه، وقد أكد رسول الله ﷺ ذلك، يقول ابن مسعود - رضى الله عنه :

«سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله؟ قال : الصلاة على وقتها، قلت ثم أى؟ قال : بر الوالدين، قلت ثم أى؟ قال الجهاد فى سبيل الله» (٢) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

(١) سورة الاسراء ٢٣ .

(٢) متفق عليه .

«رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبير فلم يدخله الجنة»^(١).

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين»^(٢).

والوصية الثالثة : «ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم» :

بعد أن أوصى الله الأبناء بالآباء أوصى الآباء بالأبناء ليقوم بناء الأسرة على قواعد متينة من الألفة والمودة والعلائق الطيبة، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ولما كان الإسلام حريصاً على تكوين مجتمع قوى متماسك اتجه اهتمامه إلى بناء الأسرة على قواعد قوية من البر والود ومن الحقوق والواجبات التي يلتزم بها كل أعضاء الأسرة، فأوصى ببر الوالدين، وأوصى الآباء والأمهات برعاية الأبناء وحسن تربيتهم، وجعل من أكبر الذنوب إهمال شؤونهم، يقول صلوات الله عليه :

«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»^(٣).

يقول ابن مسعود - رضي الله عنه :

«قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت ثم أى؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت ثم أى؟ قال : أن تزاني حليلة جارك، ثم تلا

(١) رواه الامام احمد في مسنده .

(٢) أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان .

(٣) رواه ابو داود ورواه مسلم بمعناه .

رسول الله ﷺ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ (١).

ويقول صلوات الله عليه :

«إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات» (٢).

وقتل الأبناء محرم في كل صورته، وإنما تحدثت الآية هنا عن قتل الأبناء بسبب الفقر لأن ذلك كان معروفاً في الجاهلية، كما تحدثت في آية أخرى عن منع قتل الأبناء خوفاً من وقوع الفقر في المستقبل، يقول الله تعالى :

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾ (٣)

كما تحدثت عن بشاعة قتل البنات مخافة العار، يقول الله تعالى :

﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ (٤).

والله تبارك وتعالى قد جعل من نعمه على عباده أن وهب لهم الأبناء والحفدة يقول الله تعالى :

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من

(١) رواه البخاري والآية من سورة الفرقان ٦٨ .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة الأسراء ٣١ .

(٤) سورة التكاوير ٨-٩ .

أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات، أفيالباطل
يؤمنون، وبنعمة الله هم يكفرون ﴿١﴾.

ومن كفر النعمة عدم رعاية الأبناء وعدم الاهتمام بهم
والتعدى عليهم بالقتل وغيره وبخاصة إذا كان ذلك خوف الفقر،
فقد تكفل الله برزق عباده، يقول الله تعالى :

﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ (٢).

﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم﴾ .
ويقول صلوات الله عليه :

«إن روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى
تستوفي رزقها وأجلها» .

والوصية الرابعة : ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن﴾ :

وهي وصية كريمة تستهدف نقاء المجتمع المسلم من الفساد
والخبث حتى يظل مجتمعاً طاهر السروالعلن، سليم المظهر
والمخبر، والفواحش الذنوب الكبيرة التي زادت في فحشها، وقد
يراد بها هنا الزنى، لأن قتل الأبناء فاحشة، وقتل النفس بغير حق
فاحشة، فالفواحش هنا إذا شئء خاص متميز هو الزنى، دل عليه
قوله تعالى : ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ وإن كانت العبارة في عمومها
تشمل كل الذنوب الكبيرة، وقد كرر القرآن الكريم تحريم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن، يقول الله تعالى :

(١) سورة البحل الآية ٧٢ .

(٢) سورة هود الآية ٦ .

﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾^(١) .

والوصية الخامسة : ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ ولقد صان الله النفس البشرية ، فلا يحق اراقة دمها إلا بما شرعه الله والذي شرعه الله بينه رسول الله ﷺ بقوله :

« لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بأحدى ثلاث ، الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »^(٢) .

وليس ذلك خاصا بالمؤمن فقط ، فإن غير المسلم المعاهد محرم كذلك إلا بالحق يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة »^(٣) .

ولقد شدد الإسلام فى النهى عن القتل بغير حق ، واعتبر ذلك جريمة من أكبر الجرائم ، يقول الله تعالى :

﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾^(٤) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق ، ولو

(١) سورة الاعراف الآية ٣٣ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى والنسائى بلفظ مقارب .

(٤) سورة النساء ٩٣ .

أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار^(١).

وبعد هذه الوصايا الخمس يأتي قوله تعالى : ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ :

ذلكم : إشارة إلى الوصايا الخمس . . . وهذا يعنى أن هذه الأمور الخمسة التى تكلمت الآية عنها ليست أمرا هينا ، وإنما هى صادرة عن الله تبارك وتعالى فهى أمور ينبغى التزامها والحرص على تنفيذها لأنها وصية الله تبارك وتعالى وهى أيضا تقتضى أن نفكر فيها ونفكر فى صدورها عن ربنا المنعم علينا واللطيف بنا ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم﴾ .

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن ، حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ . . .

يبلغ أشده : يبلغ رشده .

القسط : العدل والتسوية .

لا يكلف نفسا إلا وسعها : لا نكلف أحدا إلا بما يستطيعه .

ذا القربى : صاحب قرابة كالأب والابن والأخ وغيرهم .

والوصية السادسة : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن﴾ وهى وصية إلهية كريمة توجب رعاية اليتيم والمحافظة عليه وعلى ماله ، واليتيم من فقد الأب وكان دون البلوغ .

(١) رواه ابن ماجه باسناد حسن ورواه البيهقى ورواه الاصبهاني وزاد الجزء الأخير منه .

والله تبارك وتعالى يبالغ في النهي عن الاعتداء على مال
اليتيم فلا ينهى عن أخذ مال اليتيم فقط وإنما ينهى عن الاقتراب
منه بقصد التعدى عليه، وهذا فيه ما فيه من وجوب العناية به
والاهتمام بماله .

والأخذ المباح من مال اليتيم إنما يكون بالتى هى أحسن،
أى بالطريقة الحسنى، وهى أن يأخذ الوصى أجره على رعايته لمال
اليتيم وتشميره والقيام على شئونه، على أن يأخذ أجره بما تعارف
عليه الناس لا حسب رغبته وهواه .

ولما كان الخطاب للأوصياء جاء النهي عن التعدى على مال
اليتيم حتى يبلغ أشده، أى حتى يبلغ رشده، كما قال تعالى :
﴿فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رِشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (١) .

وليس معنى ذلك أنه بعد بلوغ الرشد يجوز للأوصياء أو
لغيرهم أن يأخذوا من مال اليتيم بغير الطريقة الحسنى، فحرمة
مال اليتيم بعد البلوغ هى كحرمة مال سائر المسلمين، والله تبارك
وتعالى حرم الاعتداء على مال المسلم فى كل حال، يقول صلوات
الله وسلامه عليه :

«كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه» (٢)
وقد اهتم الإسلام باليتيم، ودعا إلى رعايته والعناية بشأنه،
وحذر من الاعتداء عليه أو على ماله، يقول الله تبارك وتعالى :
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بَطُونِهِمْ نَارًا، وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (٣) .

(١) سورة النساء ٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة النساء ١٠ .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«إياكم وبكاء اليتيم ، فإنه يسرى في الليل والناس نيام»^(١).

ويقول رسول الله ﷺ مرغبا في رعاية اليتيم والاهتمام به :

«خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت

في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»^(٢).

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

«انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى

وفرّج بينهما»^(٣).

والوصية السابعة : ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا

نكلف نفسا إلا وسعها﴾ :

يأمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يتعاملوا في مكياهم

وميزانهم وفي كل معاملاتهم بالعدل ، فلا يأخذ أحد فوق حقه ، ولا

يُعْطَى أحدٌ دون حقه ، فإن هلاك الأمم بالظلم ، يقول صلوات

الله عليه :

«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٤).

وقد أخبرنا الله تعالى أن الذين يظلمون في المكيال والميزان

لهم عذاب أليم يوم يلقونه يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس

يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾^(٥).

(١) رواه الاصبهاني .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه البخاري وأبو داود والترمذي .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة المطففين ١ ، ٢ ، ٣ .

وقد أخبرنا الله كذلك، أنه أهلك قوم شعيب - عليه الصلاة والسلام - لأنهم كانوا ظالمين في مكياهم وميزانهم، قال تعالى على لسان شعيب يحذر قومه :

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسط المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (١) .

وقد جعل الله تعالى تعامل الناس في مكاييلهم وموازنم وصية منه ليعلم العباد أن أعمالهم مراقبة من الله، وأن صلاحهم في التزام شرع الله، وأن ضياعهم في انحرافهم عن أمر الله .

وقوله تعالى : ﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾ تيسير من الله على عباده، إذ أن مراعاة العدل المطلق في الكيل والميزان قد يعسر أمره، فعلى البائع أو التاجر أن يبذل جهده في تحرى الحق والعدل، فإن أصاب العدل فذلك هو المطلوب وإن لم يصبه مع بذل الجهد فلا شيء عليه، فإن الله لا يكلفه إلا بما يستطيع .

والوصية الثامنة هي : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ :

أى إذا قلتم قولاً فيه حكم أو فيه شهادة أو فيه تقويم لأمر من الأمور، فليكن قولكم ناشئاً عن الحق والعدل، دون ميل مع الهوى، أو انحراف لمنفعة، فالحق أحق أن يتبع، وقد طلب الله منا في هذه الوصية أن نكون مع العدل في كل أقوالنا مهما كانت العلاقة التي تربطنا بمن نشهد له أو نحكم عليه، فإن من أهم

(١) سورة الشعراء ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

أسباب الانحراف في الشهادة والحكم هو التأثير بقربة القريب والرغبة في نفعه أو دفع الضر عنه أو الرغبة في التقرب من السلطان أو الخوف منه لذلك كانت هذه الوصية أسلوباً إلهياً في تربية الضمير المسلم على التزام الحق، والوقوف عنده مهما تكن المنافع العارضة والشهوات الحاضرة، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (١).

ويرسم القرآن الكريم خطوط هذه العدالة السامية في تلك الآية الكريمة من سورة النساء :

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، ان يكن غنياً أو فقيراً، فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ (٢).

والوصية التاسعة : ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ أى أوفوا وفاء مؤكداً تاماً بعهد الله، وقد قدم عهد الله على الفعل اهتماماً به وعناية بتنفيذه.

وعهد الله كل ما أمر به، وكل ما وصى به، وكل ما تتطلبه عبوديته وربوبيته، وعهد الله مركوز في طباعنا، فنحن بحكم الفطرة عباد لله، وعهد الله مسجل في كتابه، وقد تلقيناه واضح البيان قوى البرهان عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وعهد الله مبين في سنة نبيه، فإنها بيان لكتاب الله وتكملة له .

(١) سورة النساء ١٣٥ .

فالتزام الطاعة لله وفاء بعهده .
والتزام البعد عما نهى الله عنه وفاء بعهده .
والتمسك بسنة رسول الله وفاء بعهده .

وقد مدح الله الذين يوفون بالعهد ولا ينقضونه بقوله :

﴿إنما يتذكر أولوا الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾^(١) ثم يختم الله تبارك وتعالى هذه الوصايا الأربع بقوله : ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ .

و﴿ذلكم﴾ : إشارة إلى هذه الوصايا الأربع ، وهذه الوصايا ليست وصايا البشر حتى يمكن أن نهملها أو نترخص فيها ، إنها وصايا الله لكم ، وصايا ربكم الأعلّم بكم من أنفسكم ، والأعلّم بما يصلحكم . .

لعلكم تذكرون : والختام في الآية الأولى بقوله تعالى : لعلكم تعقلون ، والختام في هذه الآية بقوله تعالى ، ذلك لأن إدراك المصلحة في الوصايا الخمس الأولى يحتاج إلى التعقل والفكر ، فوحدانية الله وارتباط سعادة الانسان بها تحتاج إلى العقل ، وسلامة المجتمع بالبعد عن الفواحش وصيانة الأعراض والدماء وارتباط ذلك بخير المجتمع ومصلحته يحتاج إلى العقل ، وأما الأمور الأربعة في الآية الثانية فلخفاء المصلحة الحقيقية الدائمة ، ووضوح المنفعة الذاتية الحاضرة احتاج إدراك الخير إلى التذكر إذ كثيرا ما تحمل المنافع القريبة الانسان أن ينسى الحق ويغفل عن الخير .

(١) سورة الرعد ١٩ - ٢٠ .

والوصية العاشرة هي : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ صراط رسول الله ، هو صراط الله وصراط الله هو طريق الحق وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده ﴿قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ . وهذا الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين :

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهو صراط واحد لا تعدد فيه ، ولا عوج له ، فمن ابتغى الحق فالحق واحد ، وليس له إلا طريق واحد ، أما الباطل فما أكثر طرقه ، ولهذا افرد الصراط المستقيم ، وجمع السبل الباطلة فقال : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ .

أى ولا تتبعوا طرق الضلال والكفر وهى كثيرة ، فإن اتبعتموها ابتعدت بكم عن طريق الحق ، فضللتهم . . روى المحدثون أن رسول الله ﷺ خط خطا بيده ، ثم قال : «هذا سبيل الله مستقيماً» .

وخطا عن يمينه وعن شماله (أى خطوطا مختلفة) ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ، ثم قرأ ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١) .

(١) رواه الامام احمد في مسنده .

وقد ختمت الوصايا بهذه الوصية لتؤكد ان التزام الوصايا السابقة كلها هو الصراط المستقيم الذى ينتهى بصاحبه إلى النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة، سئل ابن مسعود - رضى الله عنه - ما الصراط المستقيم؟

قال : تركنا محمد ﷺ فى أدناه، وطره الجنة» (١).

فالصراط المستقيم إذن أوله الحق الذى نسير عليه فى حياتنا بالتزام شرع الله، ونهايته الجنة إن شاء الله .

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ :

ذلكم : إشارة إلى ما مر من اتباع الصراط المستقيم وعدم اتباع طرق الأديان الباطلة .

وصاكم : أى هذه هى وصية الله لكم أن تلتزموا طريقه وكتابه وشرعه... لعلكم بذلك تتقون اتباع طرق الكفر والضلال .

ولقد قال رسول الله ﷺ :

«أيكم يبايعنى على هذه الآيات» ثم تلا : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم...﴾ ، حتى فرغ من ثلاث الآيات ، ثم قال :

«ومن وفى بهن ، اجره على الله ، ومن انتقص منهن شيئا أدركه الله فى الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخره إلى الآخرة ، كان أمره إلى الله ، إن شاء أخذه ، وإن شاء عفا عنه» (٢).

(١) رواه ابن جرير الطبرى .

(٢) رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد.

المناقشة

- ١ - يقول ابن مسعود - رضى الله عنه :
من أراد أن يقرأ صحيفة محمد ﷺ التى عليها خاتمة
فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿ قل تعالوا . . . إلى لعلكم
تتقون ﴾ .
- ماذا يريد ابن مسعود - رضى الله عنه - بذلك ؟ .
- ٢ - بدأت الوصايا بهذه العبارة ، ألا تشركوا به شيئاً ، فماذا
تعنى هذه الوصية ؟ ولماذا بدأ بها ؟
- ٣ - حرمت الوصية الثالثة قتل الأولاد من الفقر ، فهل يعنى
ذلك أنه يجوز قتلهم لغير الفقر ؟ اشرح ذلك ؟
- ٤ - فى الآية الأولى خمس وصايا هى :
 - (١) عدم الشرك بالله .
 - (٢)
 - (٣)
 - (٤)
 - (٥)
- أذكر هذه الوصايا ؟
- ٥ - فى الوصية السادسة حرم الله أكل مال اليتيم حتى يبلغ
أشده ، فهل يجوز أكله بعد بلوغ الأشد ؟ اشرح ذلك .
- ٦ - لماذا ذكرت الآية ﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ بعد قوله
تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ ؟

٧ - فى الآفة الثانية أربف وصافا هى :
(١) ففرفم أكل مال الففم إلف بالفق .

..... (٢)

..... (٣)

..... (٤)

أفمل هفه الوصافا ففا ففرف فى الآفة الثانية .

٨ - ما المراف بففد الله فى فوله فعالى : ﴿وبففد الله أفوا﴾ ؟

٩ - لما فا ففم الآفة الأولى بفوله : ﴿لعلكم ففقلون﴾ ؟

١٠ - ما المراف بالفراط المسفقفم ؟ وما المراف بالسفل الفى إذا

اففناها ضللنا ؟

١١ - فف فف الصفاى الفلل ابن مسعود رضى الله

فنه الصراط المسفقفم ؟

١٢ - فف رسول الله ﷺ الصراط المسفقفم هفا :

افف ما ففنه فلك بفء أن فقرأ ففف رسول الله

ﷺ .

توجيهات ربانية

سورة هود

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا^{١١٢}
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^{١١٣} وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ^{١١٤} وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ
الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ
^{١١٥} وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ^{١١٦} فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا بِجُرْمِيهِمْ^{١١٧} وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ^{١١٨}

توجيهات ربانية من سورة هود

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا، إنه بما تعملون بصير﴾ :

ولا تطغوا: لا تتجاوزوا حدود ما أمركم الله به بالزيادة فيه أو النقص منه . . .

يخاطب الله نبيه صلوات الله عليه آمرا أن يلتزم بما أمره الله به من أمور الدين، وأن يسير في تطبيق شريعة الله ملتزما تلك الأوامر الإلهية دون خروج عنها لا بالزيادة فيها ولا بالانحراف عنها، ولا بالنقص في حدودها، وكذلك كل من آمن معه من أمته عليه أن يسير في حياته ملتزما بهذا المنهج، منهج الاستقامة على شرع الله، الذي تضمنه كتاب الله وسنة رسول الله، فلا اختراع في دين الله ولا ابتداع، وإنما هو الطاعة والاتباع .

عن أبي عمرو بن سفيان بن عبد الله - رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال :

« قل آمنت بالله ثم استقم »^(١) .

وهذا الحديث الشريف يلخص الإسلام كله . . . ويوضح الآية الكريمة . . . فالإسلام إيمان يعمر القلب، واستقامة على ما أمر الله، حيث تلتزم طاعته وتجتنب معصيته .

(١) رواه مسلم .

ولقد كان لهذا التعبير الالهي ﴿فاستقم كما أمرت﴾ صدى رهبة وخشية في نفس رسول الله ﷺ حتى روى عنه أنه قال :
«شيبتي هود وأخواتها» .

والتعبير الكريم بقوله : ﴿ولا تطفؤا﴾ يعنى الأمر ليس في العمل بما يطلب الله منا فحسب ، وإنما الأهم من ذلك أن نعمل ملتزمين بما شرع الله لنا ، فلا نتدخل في شريعة الله بادعاء أن نزيد في الخير ، فإن الزيادة عما شرع الله تدخل في شريعته .

جاء رجل إلى مالك بن أنس - رضى الله عنه - يقول له :
أرأيت لو أحرمت قبل الميقات ؟ قال مالك : أخشى عليك الفتنة ، فقال الرجل : وأى فتنة في الزيادة في الخير ، فقال مالك : وأى فتنة أعظم من أن تدعى لنفسك خيرا لم يفعله رسول الله ﷺ ، ثم تلا مالك قول الله تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (١) .

أنه بما تعملون بصير : أى أن الله مراقب لكم فهو يأمركم ويبصر أعمالكم ليرى التزامكم وطاعتكم أو انحرافكم أو زيادتكُم ثم يجازيكم على الاحسان إحسانا ، وعلى السوء سوءا .

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ .

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا : ولا تميلوا أدنى ميل إلى الذين وقع منهم الظلم أى ظلم .

(١) سورة البور / ٦٣ .

ومالكم من دون الله من أولياء : ولن تجدوا من ينقذكم من عذاب الله ومؤاخذته .

نهى الله تعالى في الآية السابقة عن الطغيان في العمل بالشرعية وهو الزيادة عما أمر الله به ، وهنا ينهى الله عباده المؤمنين أن يميلوا إلى الظلمة الذين تجاوزوا حدود ما شرع الله في معاملتهم للرعية ، فهى عن الميل إليهم أو مصاحبتهم أو الرضا عن أعمالهم إذا ما وقع منهم أى ظلم للناس فما بالك إذا كانوا غارقين في الظلم ، ان الله تبارك وتعالى لم يقل «ولا تركنوا إلى الظالمين» وإنما قال : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ وهذا إشعار بوجوب ترك الظلم وتحريض على البعد عنه ، والمقاومة له فإن الله تعالى هدد الذين يميلون إلى الذين يقع منهم الظلم بقوله :

﴿فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ .

وأنت ترى أن الله جعل عاقبة الذين يميلون إلى من يقع منهم الظلم هى عذاب النار، ولن تجدوا من ينقذهم من عقوبة الله ، فليس لهم من ولى مناصر، وليس لهم مدافع يدافع عنهم ، فتكون نهايتهم الخسران والضياع ثم لا ينتصرون .

وإذا كان هذا مصير من يميل إلى الظالم ، فما مصير الظالم نفسه ، إن الله تبارك وتعالى يقول :

«يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» (١) .

(١) رواه مسلم .

ويقول صلوات الله عليه :

«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (١) .

ولقد أخبر الله تبارك وتعالى أن خراب الأمم وهلاكها إنما ينشأ عن انتشار الظلم فيها، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ (٢) .

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، ان الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين، واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ .

طرفي النهار: الغداة والعشى والمراد صلاة الصبح والظهر والعصر .

زلفا من الليل: ساعات من الليل قريبة من النهار وهي صلاة المغرب وصلاة العشاء .

إن الحسنات يذهبن السيئات: إن فعل الخيرات كالصلوات يكفر الذنوب .

ذلك ذكرى للذاكرين: ذلك عظة للمتعظين .

يأمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام باقامة الصلاة وهو أمر له، ولكل أمته، ويحدد الله أوقات الصلاة بقوله :

﴿طرفي النهار وزلفا من الليل﴾، فالصلاة في الطرف الأول من النهار هي صلاة الصبح لأنها صلاة الغداة، والغداة أول النهار وصلاة البكرة، والبكرة أول النهار والصلاة في الطرف الآخر من

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة الحل ٥٣ .

النهار هي صلاة الظهر والعصر، إذ الطرف الآخر من النهار بعد الزوال، وفي هذا الوقت يبدأ وقت صلاة الظهر، وفي آخر النهار تكون صلاة العصر .

والزلف من الليل كما عرفنا هي ساعات الليل القريبة من النهار، أخذنا من أزلفه إذا قربه، والساعات القريبة من النهار هي ساعات أول الليل، وفي هذه الساعات تكون صلاة المغرب وصلاة العشاء .

وقد أطلق رسول الله على صلاتي المغرب والعشاء زلفتي الليل، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

«هما زلفتا الليل، المغرب والعشاء» (١) .

وقد جاء الأمر باقامة الصلاة بعد الأمر بالاستقامة على الدين والنهي عن الطغيان فيه، والنهي عن متابعة الظالمين، وكما كان ذلك كله لا يمكن القيام به إلا باعداد النفوس وتربيتها بحيث تصفو القلوب وتتطهر الضمائر وتقوى العزائم، والطريق إلى ذلك لن يكون إلا باقامة الصلاة عبادة لله وخضوعاً له، ومراقبةً لجلاله وعظمته، فكانت الصلاة هي وسيلة التربية الإلهية لتلك الأمة المختارة، يقول الله تعالى :

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (٢) .

﴿وأقم الصلاة، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (٣) .

(١) رواه ابن جرير الطبري .

(٢) سورة البقرة ٤٥ .

(٣) سورة العنكبوت ٤٥ /

وقد أصبحت الصلاة شعار المسلم وعنوانه، فهي التي تفرق بين مسلم يلتزم بإسلامه، وبين غير المسلم، وهذا ما يشير إليه ﷺ بقوله:

«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»^(١).

كما أن صلاة الجماعة هي شعار المجتمع المسلم، والتخلف عن صلاة الجماعة علامة النفاق وضعف الإسلام في نفس صاحبه... يقول ابن مسعود - رضى الله عنه:

«ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»^(٢).
إن الحسنات يذهبن السيئات: أى أن الأعمال الصالحة تكفر الذنوب السابقة، وفعل الخير وتربية النفس عليه وسيلة إلى ترك الشر والاقلاع عنه، ولقد رغب الإسلام في الخير حتى يستقيم في نفوس الناس، وحتى يصبح طابعا مميزا للمجتمعات المسلمة، يقول صلوات الله عليه:

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان»...
ثم تلا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾^(٣) الآية.

ويقول صلوات الله وسلامه عليه:

«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(٤).

(٣) رواه الترمذى وحسنه .
(٤) رواه مسلم .

(١) رواه مسلم واحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .
(٢) رواه مسلم .

والحسنيات تشمل كل الأعمال الصالحة والصلاة جزء منها... .

ذلك ذكرى للذاكرين : ذلك : أى ما سبق من أمر ونهى مثل قوله تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ وقوله : ﴿ ولا تطغوا ﴾ وقوله : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة ﴾ كل هذه الأوامر والنواهي تذكير لمن يتذكر، وعظة لمن يتعظ والصلاة جعلت أساساً لهذا التذكر، انها تذكر الانسان بقاء ربه، وتذكره بعبودية خالقه... . ﴿ وأقم الصلاة لذكرى ﴾ (١).

والقرآن كله تذكير بالخير، وتوجيه إليه، يقول الله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (٢).

واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين : يأمر الله تبارك وتعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه وكل من آمن به أن يصبر على أداء هذه الأوامر السابقة، فإن في أدائها مجاهدة للنفس، ومشقة في دفع عناد المعاندين، والصبر هنا هو سلاح المؤمن الذى يتيح له النجاح في أداء واجباته، والنصر على أعدائه (إن النصر مع الصبر)، والصبر بهذه الصورة احسان في العمل، والإحسان كما وضعه لنا رسول الله ﷺ :

« أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٣).

فالمسلم في صبره عابد لربه، بل هو محسن في عبادته،

(١) سورة طه / ١٤ .

(٢) سورة طه / ٢ .

(٣) متفق عليه .

ولذلك بشره الله تعالى بقوله :

﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ .

أى أن الله يعطى الصابرين أجرهم وافياً كاملاً فلا يضيع منه ، لأنهم أحسنوا العمل ، وقد وعد الله أن يعطى الأجر لمن يحسن العمل :

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (١) .

بل لقد وعد الله الصابرين أن يعطوا أجورهم مطلقة دون حساب ولا تحديد :

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (٢) .

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ : هود/ ١١٦ .

لولا : هلا .

القرون من قبلكم : الأمم التى عاشت فى القرون السابقة .

أولوا بقية : أصحاب بقية من الخير .

ما أترفوا فيه : ما نعموا به .

يقول الله تعالى : هلا وجد فى الأمم السابقة من يقومون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى تستقيم مجتمعاتهم على الخير ، وتنجو من أخذ الله وعقوبته ، لكن الذى حدث أنهم

(١) سورة الكهف ٣٠ .

(٢) سورة الزمر / ١٠ .

انغمسوا في شهواتهم وساروا في ضلالتهم إلا قليلا لم يتابعهم في هذا الفساد فأنجاهم الله مما حل بأمهم من العذاب والعقاب ، وقد كان النعيم والترف من أهم أسباب فساد تلك الأمم ، فقد انغمست فيه تلك الأمم فدفعهم ذلك إلى الظلم والاجرام بحثا عن اللذات والشهوات ﴿فكانوا مجرمين﴾ .

وهكذا يوضح القرآن الكريم لنا أن صلاح المجتمعات في وجود الاتقياء الذين يجهرون بكلمة الحق ، لا يخشون في الله لومة لائم ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»^(١) .

فإذا خلا المجتمع من الدعاة إلى الخير القائمين على حدود الله الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عامل الله تلك المجتمعات بعقوبته فتوالت عليها النكبات في أرزاقها وأموالها وأنفسها .

يقول رسول الله ﷺ :

«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»^(٢) .

﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ :
ولا يستقيم في حكم الله وسنته في كونه أن يعذب أمة أصلحت شئونها ، وقومت أمورها ، وأقامت العدل بين أبنائها ، فلم يحدث في تاريخ الحياة كله أن عاقب الله المصلحين ، بل على

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٢) رواه الترمذى .

العكس أنه يوسع عليهم في الارزاق، ويفتح لهم أبواب البركات ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (١).

إن سنة الله الماضية في مخلوقاته، أن يتيح الخير للصالحين، ويمهد طريق النجاح للعاملين:

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ (٢).

كما جرت سنته ألا يهلك أمة إلا بظلمها وخروجها على حدود الله وشرعه، بانتشار الفساد في ربوعها وسيطرة الشهوات على أفرادها، وانغماس قادتها في الترف والنعيم وانصرافهم إلى اللهو غافلين عن مصالح الأمة وشئونها.

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (٣).

ويقول :

﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا، وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ (٤).

ويقول :

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (٥).

(٤) سورة الكهف / ٥٩ .

(٥) سورة الاسراء / ١٦ .

(١) سورة الاعراف / ٩٦ .

(٢) سورة الأنبياء / ١٠٥ .

(٣) سورة القصص / ٥٩ .

المناقشة

١ - فاستقم كما أمرت . . . في هذه الآية أمر ونهى . . . أذكر كلا منهما، وشرح الغرض منها .

٢ - في الآية الثانية : ﴿ولا تركنوا﴾ نهى للمؤمنين فعن أى شىء النهى؟

٣ - نهى القرآن الكريم عن الميل للظالمين، فإذا فهمت من موقف الإسلام من الظالمين أنفسهم، أيد رأيك بما تحفظ من آية وحديث .

٤ - أملأ الفراغات في الآية التالية :

أقم طرفى وزلفا أن
يذهبن

٥ - طرفا النهار يشمل صلوات

(١) (٢) (٣)

وزلفا من الليل يشمل صلاتى

(٤) (٥)

٦ - وأصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين :

على أى شىء الصبر كما فهمت من الآيات؟

وما صلة الصبر بالاحسان؟

٧ - ما سر فساد الأمم وما سر صلاحها، كما تفهم من قوله

تعالى : ﴿فلولا كان من القرون . . .﴾ الآية؟

٨ - ما القاعدة التى وضعتها الآية لعقاب الله وأخذه، كما

حددها قوله تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها

مصلحون﴾؟

